(١٦) انظر : AE, CC, Damas, vol. 4, 3 mai 1859.

(١٧) انظر : AE, CC, Damas, vol. 2, 14 juin 1846.

(١٨) انظر : AE, CC, Damas, vol. 3, 1 octobre 1851.

(١٩) انظر : AE, CC, Damas, vol. 4, 27 février 1866.

(٢٠) انظر : Archives Nationales, Paris, F. 12, 7191, Paris, 28 juillet 1870; AE, CC, Alep, vol. 34, 22 juin 1870.

(٢١) انظر : AE, CC, Damas, vol. 4, 27 février 1860, 12 juin 1863.

(٢٢) انظر : AE, CC, Damas, vol. 5, 29 avril 1870.

(٢٣) انظر حول اهمية الطريق بالنسبة لبيروت والمناطق اللبنانية على اطرافه الكتاب الهام التالي :
Leila Tarazi-Fawaz, **Merchants and Migrants in Nineteenth - Century Beirut,** Harvard, 1983, pp. 68-69.

(٢٤) انظر : Bowring, p. 53.

(٢٥) انظر : Tarazi-Fawaz, p. 123.

(٢٦) انظر : **Ibid.**, pp. 69-71.

(٢٧) انظر الكتاب التالي :
Henri Guys, **Esquisse de l'état politique et commerciale de la Syrie,** Paris , 1862, pp. 202-206.

(٢٨) انظر : AE, CC, Damas, vol.4, 10 janvier 1860.

(٢٩) انظر : AE, CC, Damas, vol.4, 9 juillet 1863.

(٣٠) انظر : AE, CC, Damas, vol.6,8 février 1884.

(٣١) انظر : AE, CC, Damas, vol.6, 15 mai 1886 .

(٣٢) انظر : Ibid

(٣٣) انظر : AE, CC, Damas , vol.6,25 janvier 1889 .

(٣٤) انظر : AE, SS, Damas, vol.3, 1 octobre 1851.

(٣٥) حول هجرة المسيحيين من بلاد الشام الى مصر في القرن الثامن عشر ودورهم التجاري البارزفيها،
انظر : André Raymond, **Artisans et Commersants au Caire au XVIIIe Siècle,** Damas, 2 vols, 1973-4 , vil.l, pp. 483-501.

(٣٦) انظر : Guys, pp. 202, 205.

(٣٧) للحصول على دراسة وافية لقافلة الحج الشامي ، ا نظر كتابنا :
The **Province of Damascus** , pp. 53-76.

---

(٣٨) انظر : AE, CC, Damas, vol.1, 30 mars 1842.

(٣٩) انظر : AE, CC, Damas, vol.2,16 mars 1847.

(٤٠) انظر : AE, CC, Damas, vol.3,25 septembre.

(٤١) انظر : AE, CC, Damas , vol.4,16 octobre 1862, vol.5,19 janvier 1870.

(٤٢) انظر : AE, CC, Damas, vol.4,21 août 1863, vol.5,1 mai 1872.

(٤٣) انظر : AE, CC, Damas, vol.4,19 janvier 1870 .

(٤٤) ص ١٢٤–١٢٥ من كتاب القساطلي ، طبعة بيروت ، ١٨٧٦ ، اعاد تصويره وقدم له عيسى فتوح، مكتبة السائح ، بيروت (دون تاريخ) .

(٤٥) انظر : AE, CC, Damas, vol.3,13 octobre 1851, vol.5,5 juin 1856.

(٤٦) انظر : AE, CC, Damas , vol.2,12 mai 1847, 3 juin 1874.

(٤٧) انظر : AE, CC, Damas, vol.3,1 août 1855.

بيعت الخيول السورية لعدد من الدول الاوربية ، مثل روسيا وايطاليا ، وفرنسا التي استخدمتها لحاجاتها الداخلية ، وفي تحسين نسل الخيول في الجزائر الخاضعة بها ، وكذلك في العمليات العسكرية . وكان شراء الخيول يتم خلال فترة معينة من العام ، في نيسان وايار وحزيران وتموز ، بعد عودة البدو من البادية الى مشارف المدن . وكان البدو يستغلون مجيء الاوربيين خصيصا لشراء الخيول فيرفعون من اسعارها . ولذلك تحاشى هؤلاء الاتصال مباشرة بالبدو وعمدوا الى تكليف التجار والوكلاء الوطنيين شراء الخيول لحسابهم باسعار معتدلة . وكانت المهر مرغوبة اكثر من غيرها لرخص ثمنها ، الذي راوح بين ٥٠٠ و ١٠٠٠ قرش للمهرة الواحدة ، ونظرا لرخص العلف في بلاد الشام عمد المشترون الاوربيون الى ابقاء المهر المشتراة في البلاد سنة ، ليتاكدوا من نوعيتها وصلاحيتها ، والا اعادوا بيعها محققين ربحا اضافيا .

انظرحول هذا : AE, CC, Damas, vol. 4, 16 oct. 1962.

(٤٨) انظر : AE, CC, Damas, vol.2, 2 novembre 1851.

(٤٩) انظر : AE, CC, Alep, vol.31 (Paris, 20 janvier) .

(٥٠) انظر : AE, CC, Alep, vol.35,30 mai 1871.

(٥١) انظر : AE, CC, Damas, vol.5,1 1 janvier 1873.

(٥٢) اثبتناالعبارة كماوردت في النص الاصلي ، وهو باللهجة الدمشقية العامة ، وتعطي فكرة عن انحطاط لغة القضاءانذاك .

(٥٣) انظر : سجلات دمشق ، رقم ١١ ، ص ٩٨–١٠٠ ، ٥ محرم ١٢٦١/ (١٤ كانون الثاني ١٨٤٥) .

(٥٤) لمقارنة مقدار التزام عبد القادر خطاب لهذه الاقلام المتعلقة بصناعة النسيج بدمشق بالقيمة الاجماليةللضرائب المستوفاة من المدينة في تلك السنة (١٢٦٠/١٨٤٤)، انظر :

AE, CC, Damas, vol. 2, « Etat du Revenue du Pachalik de Damas pendant l'année 1844 » , joint à la lettre de Damas le 16 janvier 1845.

(٥٥) انظر سجلات دمشق الشرعية مجلد ٤١٢ ، ص ١٦٢–١٦٦ .

(٥٦) انظر : Bowring, p. 59

(٥٧) انظر: سجلات دمشق الشرعية، مجلد ٤٩٤، ص ١١٣ ، ختام محرم ١٢٧٤/ (٢٠ ايلول ١٨٥٧) .

(٥٨) انظر : سجلات دمشق الشرعية ، مجلد ٥١٠ ، ص ٤، ١٤ جمادى الثانية ١٢٧٦/ (١٠ كانون الثاني ١٨٥٩) .

(٥٩) كلمة ريال مأخوذة اصلا من ريال ماريا تيريزا . ولم يتبين لنا معنى كلمة شوشة . ولكن وجد في غزة في الفترة ذاتها نقد عرف باسم ريال فرانسة شوشة ، انظر بحثنا : غزة ، دراسة عمرانية واجتماعية واقتصادية من خلال الوثائق الشرعية ، ١٢٧٣ – ١٢٧٧ / ١٨٥٧ – ١٨٦١ ، دمشق ١٩٨٠ ، ص٨٨ .

٦٠) سينكو ،او سنكو أو شنكو ، كلمة مشتقة من الايطالية وتعني خمسة . انظر : الاب انستاس ماري الكرملي البغدادي ، النقود العربية وعلم النميات ، القاهرة ، ١٩٣٩ ، ص ١٤١ .

(٦١) لعله النقد ذاته الذي ذكر في غزة باسم ريال فرانسة عامود ، وكان سعره ٣٢ قرشا ، انظر : غزة ، ص٨٧، واشير اليه كذلك باسم « ابو مدفع » .

(٦٢) انظر : Bowring, p.95.

(٦٣) انظر : AE, CC, Damas, vol,1, 30 novembre 1843, 8 décembre 1843.

(٦٤) انظر بحثنا باللغة الانكليزية وعنوانه :

« Land Tenure Problems and their Social Impact in Syria around the Middle of the Nineteenth Century », in **Land Tenure and Social Transformation in the Middle East**, ed. Tarif Khalidi, American University of Beirut, 1984, pp. 384-385.

وانظرا يضا : AE, CC, Damas, vol.2,16 avril 1845, 20 mai 1845.

(٦٥) انظر : AE, CC, Damas, vol.3,29 juin 1840.

(٦٦) انظر : AE, CC, Damas, vol.1,1 décembre 1839.

(٦٧) انظر : AE, CC, Damas, vol.1,28 décembre 1839.

(٦٨) انظر :سجلات دمشق ، رقم ١١ ، ص ٣٦١ – ٣٦٢ .

(٦٩) المصدر السابق ، ص ٢١٦ – ٢١٧ .

(٧٠) المصدر السابق ، ص ٢٨٣ .

(٧١) المصدر السابق ، ص٢٧٧ – ٢٧٨ ، ٢٨٣ .

(٧٢) الياس بن عبده بك قدسي (قنصل دولة هولاندة بدمشق) ، « نبذة تاريخية عن الحرف الدمشقية». قدمها للمجمع العلمي الشرقي الملتئم في مدينة ليدن ، عام ١٨٨٣ ، وقد نشرت في :

Carlo Landberg, **Actes du VIe Congrès des Orientalistes,** t.2, Leiden, 1885, p.15.

(٧٣) انظر : AE, CC, Damas, vol,4, 5 mars 1863.

(٧٤) انظر : قاموس الصناعات الشامية ، جزآن ، الجزء الاول تاليف محمد سعيد القاسمي ، والثاني تاليف جمال الدين القاسمي وخليل العظم ، تحقيق ظافر القاسمي ، نشر دار موتون وشركاه ، باريس لاهاي ، ١٩٦٠،ج١ ، ص ٣٩ .

(٧٥) انظر : AE, CC, Damas, vol.4,5 mars 1863.

(٧٦) انظر : AE, CC, Damas, vol.3, 20 janvier 1850.

(٧٧) انظر :

Bowring, p. 20; Charles Issawi (ed.) , **The Economic History of the Middle East, 1800 - 1914,** Chicago, 1966, p. 224.

(٧٨) انظر : AE, CC, Damas, vol.4,21 octobre 1856.

(٧٩) انظر : AE, CC, Damas, vol.4,10 janvier 1860.

(٨٠) انظر : AE, CC, Damas, vol.4, 16 octobre 1862, cf. 11 mai 1863.

(٨١) انظر : AE, CC, Damas, vol.4, 5 mars 1863, 30 avril 1863.

(٨٢) تفاصيل القائمة مبنية على القضايا المعروضة على محاكم دمشق الشرعية حسب تواريخها ، وذلك وفق السجلات والصفحات التالية، دون مراعاة التسلسل لانه يوجب تكرار ارقام السجلات :مجلد رقم ٣٧١ ، ص٣ ، ص ٢٨ ، رقم ٣٧٣ ، ص٢٢٧ ، رقم ٣٧٤ ، ص ٢٣١ ، رقم ٣٧٦ ، ص ١٥ ، ص ١١١ ، ص ٣٩٤ ، ص ٣٧٦ ، ص ٢٦٠ ،ص ٢٧ ٣، ص ٢٧٦ ، رقم ٣٧٧ ، ص ٢٥ ، رقم٣٧٩ ص ١٦٤ ، رقم ٣٨٦ ، ٢٣٣ ، ص ٢٠٥ ،رقم٣٨ ، ص ١٤٠ ، رقم ٣٩٨ ، ص ٦٣ ، ص ١٥٣، رقم ٤٠٤ ، ص ٢١٩ ، رقم ٤١٣ ، ص ٤٩،رقم ٤٨٦ ، ص ١٨٦ ، رقم ٤٩٣ ، ص ٢٧٧ ، ص رقم ٥٠٣ ، ص ٣ ، رقم ٥٠٤ ، ص ٣٣ ،رقم ٥٠٧ ، ص ٢٣٩ ، رقم ٥٢٣ ، ص ٢ ٦.

(٨٣) انظر :

AE, CC, Damas, vol.4,19 octobre 1869, « Situation Commeciale et Industrielle de Damas ».

(٨٤) انظر:

Dominique Chevallier, « Un exemple de resistance technique de l'artisanat syrien aux XIXe et XXe siècles », **Syria, 30 (1962).**

(٨٥) القساطلي ، الروضة الغناء ، ص ١٢٣ ، وانظر ايضا القاسمي ، ج١ ، ص ١٤٧ – ١٤٨ .

(٨٦) القساطلي ، ص ١٢٤ .

(٨٧) المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٨٨) المصدر السابق ، ص ١٢٣.

(٨٩) المصدر السابق، ص ١٢٣ .

(٩٠) انظر : AE, CC, Damas , vol.4,5 mars 1963.

(٩١) « قاموس الصناعات الشامية » ، ص ٢١٣.

(٩٢) المصدر السابق ، ص ٣١٤ .

(٩٣) انظر : AE, CC, Damas, vol.4,5 mars 1863.

(٩٤) القساطلي ، ص ١٢٥.

(٩٥) انظر : AE, CC, Damas, vol.4,5 mars 1863.

(٩٦) يذكر التقرير بعد سطرين من ذلك (ص ١١٠) ان الكنتال يساوي ٢٥٦ كغ و ٤٠٠غ ، ولهذا فان ٣٠٠كنتال تساوي ٧٨٠٠ كغ .

(٩٧) ص ١٢٤ .

(٩٨) انظر : Roger Owen, **The Middle East in World Economy 1800 - 1914,** London, 1981, p.171 .

(٩٩) ص١٢٣ .

(١٠٠) انظر : AE, CC, Damas, vol.6,8 juillet 1883.

(١٠١) انظر : AE, CC, Damas, vol.4,19 octobre 1869.

(١٠٢) انظر : AE, CC, Damas, vol.6,31 juillet 1879.

(١٠٣) انظر : AE, CC, Damas, vol.3,2 novemdre 1851.

(١٠٤) انظر : AE, CC, Damas, vol.4, 16 octobre 1862.

(١٠٥) انظر : AE, CC, Damas, vol.3,12 janvier 1852.

(١٠٦) انظر : AE, CC, Damas, vol.4, 30 avril 1863

(١٠٧) سجلات دمشق الشرعية ، مجلد ٣٩٧، ص١٢ ، ١٧ربيع الاول ١٢٦٢/ (١٥ اذار ١٨٤٦) .

(١٠٨) انظر الدراسة الهامة التالية حول الدور السياسي لاعيان دمشق بين ١٨٦٠ و ١٩٢٠ وجذورهم الاجتماعية :

Philip S. Khoury, **Urban notables and Arab nationalism, the politics of Damascus 1860 - 1920,** Cambridge University Press, 1983.

* * *

وأماكن تصريفها او تصديرها . وانتج من قماش المبروم ، بموجب هذا التقرير ، ٣٠٠ ألف قطعة ، في حين ذكر التقرير الاول ، لعام ١٨٦٣ ، ان ٣٠٠ ألف قطعة من هذا النسيج صدرت الى مصر في عام ١٨٦٢ . ويدل هذا على تناقص انتاج المبروم في عام ١٨٧٩ .

وهكذا ، ومن هذه التقارير الفرنسية الثلاث لاعوام ١٨٦٣ و ١٨٦٩ و ١٨٧٩، يتضح انه بالرغم من تناقص عدد الانوال النسيجية عما كانت عليه في الماضي فان الانتاج ، بوجه عام ، قد اخذ بالازدياد في أواخر الستينات وبخاصة في السبعينات من القرن التاسع عشر ، عما كان عليه في أوائل الستينات وقبلها بقليل . ومن العوامل التي تفسر هذه الزيادة ركود النشاط التجاري العالمي في السبعينات ، وبخاصة الازمة التي حلت بالصناعة الفرنسية ، وخففت من أثر منافستها في الخارج . يضاف الى ذلك الغاء بعض الضرائب الجمركية على انتقال المواد الاولية المنتجة محليا كالقطن والصوف والحرير .

ويرسم نعمان القساطلي صورة مشابهة لما ذكرته التقارير من ان عدد الانوال في دمشق قد تناقص ولكن الانتاج قد ازداد في السبعينات . ويقول : « أما انوال النسيج فقد قل عددها في وقتنا الحاضر عما كان في بداءة هذا الجيل وما بقي منها فهو ١٦٠٠ نول الاجه و ٦٥٠ نول قطني و ٢٣٠٠ ديما و ١٥٠ شالات حرير وشالات غزل ، و ٢٥٠ كفيات حرير وكفيات غزل ، و ٥٠ زنار طرابلسي حرير وزنار طرابلسي غزل و ٥٠ فوط وملاية حرير وغزل وبوشيه ..الخ و ٢٠٠ كريشة وهرمزي وسلطانية ومجتمع هذه الانوال ٥٢٥٠ نولا »(٩٩) .

يتبين من الاحصاءات السابقة ان الصناعات الدمشقية الاساسية ، بالرغم من كل الازمات ، قد اثبتت وجودها الى جانب الصناعات الاوربية المستوردة ، ولكنها لم تتطور الى الدرجة التي كان يمكن ان تصل اليها لو لم تتدفق البضائع الاجنبية . ويلاحظ في بعض الصناعات النسيجية التي مر ذكرها ، مثل الديما والمشالح ، ان الخيوط القطنية في الاولى ، والصوفية في الثانية ، كانت تستورد من انكلترا . وهذه ضربة اخرى موجهة للصناعة المحلية ، اذ انها ، عوضا من استخدام الخيوط المصنعة محليا ، عمدت الى استيراد موادها الاساسية من الخارج ، وبذلك غدت مرتبطة بالسوق العالمية لهذه المواد من حيث توافرها ، وبصورة اخص اسعارها ، التي فرضت من الخارج وتحملها المستهلك المحلي على شكل زيادة في اسعار السلع . وكانت معظم المواد الاولية للصناعة الاوربية تستورد من الخارج ، بما في ذلك بلاد الشام، باسعار تفرضها السوق الدولية التي تسيطر عليها الراسمالية الاوربية ، ثم يعاد تصديرها خيوطا او

بضائع ، وفق الاسعار التي تفرضها الدول الصناعية المصدرة . وبهذا يكون انتاج المواد الاولية في بلاد الشام قد ارتبط بدوره بعجلة الرأسمالية الاوربيــة وأصبح تابعا لها .

وقد صدرت دمشق الى الخارج ، في عام ١٨٨٢ ، ما مجموعه ٤٢٠ الف كغ من الصوف ، وهو من خمسة انواع :الناعم ومصـــدره الجـولان حوالي ١٠٠ الف كغ ، والبلقاوي من البلقاء في متصرفية نابلس ١٠٠ كغ ، وصوف المرج والبحيرة ٨٠ الف كغ ، وصوف عجلون ٦٠ الف كغ والصوف الجبلي ومصدره جبل الدروز وحوران ٨٠ الف كغ .

ويدوم موسم الصوف خمسة أشهر تبدأ في ايار وتنتهي بنهاية تشرين الاول . وقد تم تصدير هذه الكميات ، بطريق بيروت ، الى مرسيليا وجنوه وليفورنه وتريستا وليفربول(١٠٠) . والجدير بالذكر ان هذه الكمية من الصوف المصدر تعادل تقريباكمية الصوف التي صدرتها دمشق عبر بيروت الى الخارج في عام ١٨٦٨ والتي بلغت حوالي ٤١٦ الف كغ (١٠١) .

ومما تجدر ملاحظته ان القطن لم يذكر في اي من قوائم الصادرات من دمشق الى أوربا عبر بيروت . وباستعراض ما صدرته منطقتا حماه وحمص في عام ١٨٧٨ نجد أن قيمة صادرات حماه من الصوف بلغت ٦٢٥ الف فرنك . وكانت وجهة التصدير بيروت بطريق طرابلس .أما حمص فقد صدرت الى بيروت ، بطريق طرابلس ، صوفا بلغت قيمته ١٢٥ الف فرنك . ولم تصدر اي من المدينتين قطنا ، بل استوردتا في الواقع خيوط القطن من فرنسا وانكلترا(١٠٢) .ونستدل من غياب القطن في صادرات كل من دمشق وحماه وحمص أن محصوله لم يكن كبيرا يسمح بالتصدير ، أو ان نوعيته لم تكن لتتلاءم مع الصناعة الاوربية . وقد جرت محاولة في عام ١٨٥١ لادخال زراعة القطن الامريكي ، من ولاية لويزيانا ، الى سورية بسبب نوعيته المتميزة ، ولكن المحاولة فشلت(١٠٣) .

ولم تفد بلاد الشام من تعطل زراعة القطن الامريكي ابان الحرب الاهلية الامريكية في الستينات ، في تطوير انتاج القطـن وتصديره الى أوربا التي انقطع القطن الامريكي عنها . والمعروف أن مصر أفادت الشيء الكثير من توجيه زراعتها نحو القطن آنذاك . والامر الوحيد الذي خلفته الحرب الامريكية في بلاد الشام أن سعر القطن فيها زاد ثلاثة أضعاف ، وارتفعت بنتيجة ذلك أسعار الاقمشة القطنية . وذكر أحد المراقبين في عام ١٨٦٢ (١٠٤) انه كان يمكن توسيع زراعة القطن في بلاد الشام لو عملت الحكومة العثمانية على توفير الامن في الريف ورد اعتداء القبائل البدوية التي كانت تفرض ضرائب على المزارعين لا تقل عن ضرائب الحكومة ذاتها .

وبنتيجة هذه التطورات مجتمعة ارتبط الاقتصاد الدمشقي بالاقتصاد الرأسمالي الاوربي ، ونشأت في دمشق طبقة بورجوازية ، من التجار والصناعيين ورجال المال ، مرتبطة بأوربا ، وأصبح لها قواعد وارتباطات في بيروت التي كانت مركز التجارة العالمية في المنطقة . وعلى غرار الصناعة ، شاعت الشراكة في ميدان التجارة واتخذت طابعا رأسماليا . وجنت البورجوازية المحلية ، بالمشاركة مع البورجوازية الاوربية ، الارباح الكثيرة من المستهلكين ، ولكنها تعرضت ، شأن الرأسمالية الاوربية ، الى الازمات وحالات الافلاس ، والمنافسة الشديدة فيما بينها ، والتقاضي أمام المحاكم . وتعج سجلات المحاكم التجارية والمحاكم المختلطة ، منذ الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، بتفاصيل هذه القضايا .

ونظرا للازمات الاقتصادية التي مرت بها الصناعة المحلية ، والتباين في الثروات بين الاثرياء الذين ازدادوا عددا وثروة ، وبين الطبقات الدنيا التي ازدادت أعدادها وزاد فقرها ، وظفت الرأسمالية ، المحلية والاجنبية ، بعض رأسمالها في عقد الديون التي لجأ اليها عدد كبير من الناس ، سواء في المدينة أم في الريف ، لمجابهة الازمة الاقتصادية . وزاد ذلك من ارتباط سكان الريف ببورجوازية المدن عن طريق التبعية المالية . وبالتدريج فقد عدد من سكان الريف ممتلكاتهم للوفاء بالتزاماتهم المالية .

وكانت نسبة الفائدة التي تقضاها المرابون عالية تقارب في الواقع ٢٥٪ في السنة ، في حين أن الفائدة الرسمية قد حددتها الدولة في عام ١٨٥٢ ب ٨٪ . واشارت بعض وثائق المحاكم الشرعية الى الفائدة باسم المرابحة أو الربح . ولكنها في الغالب ، لم تشر اليها صراحة . وكان الغطاء الذي استخدم للفائدة هو الشراء الوهمي لكمية من الصابون ، وذكر الى جانب قيمة الدين . واكد استخدام الصابون لهذا الغرض تقرير القنصل الفرنسي في دمشق عام ١٨٥٢ (١٠٥). والجدير بالذكر أن الادارة المالية والادارة العسكرية في دمشق كانتا مدينتين ، عام ١٨٦٣ ، بمبلغ قدره ٦ ملايين فرنك عدا رواتب الجند المتأخرة . وكانت الفائدة على هذا الدين ، ومعظمه للتجار الاجانب، تقدر من ٢ الى ٢٫٥٪ شهريا ، أي بين ٢٤ الى ٣٠٪ سنويا(١٠٦) .

ولم تكن الطبقة البورجوازية المحلية ، التي لعبت دور الوسيط للرأسمالية الاوربية ، مقتصرة على فئة من السكان دون غيرها ، بل شارك فيها الجميع ، بدلالة الثروات الكبيرة التي ذكرت تفاصيلها في سجلات التركات . وتوضح تفاصيل هذه الثروات طرق التعامل التجاري وتنوع توظيف المال ، سواء في الديون أو في الصناعة أو الزراعة ، وكذلك هوية الطبقات الاجتماعية الدائنة والمدينة . وخير مثال على ذلك موجودات تاجر دمشقي هو السيد غازي بن الشيخ محي الدين بن شيخ المحيا ،

المختل العقل الذي لا قدرة له على تعاطي مصالح نفسه ، وتتألف ثروته من ثلاثة بنود : ١) بيان الذمم الموجود أربابهم بدمشق : ذمة الخواجه متري قسطون ، خليل مصابني ، اسحاق يهودي سمكري ، الخواجه نقولا صايغ ، مجموع ذلك ٢٤١ر٣٩ قرشا ونصف . ٢) بيان الذمم المترتبة للمختل في الجهات خارج دمشق الشام : ذمة الخواجه يوسف علام بالجبل ، أولاد زخور بحمص ، الخواجه متري زمريتا في ازمير ، بيت سبرطلي الفريدي باللوندرة ، الحاج محمد آغا زرابيلي في بروسة ، محمد رزق في طرابلوس ، حسين السيوفي في طرابلوس ، مجموع ذلك ٠٨٩ر٤٢٩ قرشا ونصف . ٣) موجودات أموال وأشياء في الشام ، مستكة ، كافور ، قهوة ، باذنج ، قماش كرمسوت ، المجموع ٢٤٩ر١١ قرشا ونصف . ويبلغ مجموع الثروة ٥٨٠ر٤٧٩ قرشا (١٠٧) .

ويستدل من المواد التي يتعامل بها هذا الشخص انه كان تاجر عطارة . ومع ذلك فان مصدر ثرائه الرئيسي كان تعاطي الديون وما تدر عليه من فوائد . وتبلغ نسبة الذمم التي كانت له في دمشق والخارج حوالي ٩٨٪ من ثروته . ومما يلفت النظر تعامل هذا الشخص مع بيت تجاري في لوندرة (لندن) .

نستنتج مما سبق أن البورجوازية المحلية في دمشق أصبحت تدور في فلك الراسمالية الاوربية التي تنامت أبعادها الى حد كبير في أعقاب الثورتين التوأمين ، الفرنسية والصناعية . وقد ضمت البورجوازية المحلية في بداياتها خليطا من كبار الملاك ، ورجال المال والصناعة . ثم بدأ الفرز بين هذه العناصر يظهر بالتدريج حين حاولت البورجوازية أن تلعب دورا سياسيا ، تماما كما فعلت البورجوازية الاوربية . وفي هذا الوسط ظهرت اتجاهات فكرية كثيرة ، منها الاتجاه القومي ، والاتجاه القطري ، والاتجاه الديني ، والاتجاه العلماني ، والاتجاه الاشتراكي . وتبنى كل اتجاه فئة اجتماعية أو أكثر . ولفهم واقع كل اتجاه ، وأسباب فشله أو نجاحه ، وارتباطه بفئة دون أخرى ، يجب البحث في الاسس الاجتماعية والاقتصادية لكل فئة ، وهي وحدها التي تفسر لماذا تبنت هذه الفئة اتجاها معينا وقاومت اتجاها آخر (١٠٨) .

الهوامش :

(١) انظر البحث التالي :

André Raymond, « La Conquête ottomane et le développement des grandes villes arabes : le cas du Caire, de Damas et d'Alep », **Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée,** 1 (1979) , pp.115 - 134.

(٢) حول شركة بلاد المشرق ، انظر :

Alfred C. Wood, **A History of the Levant Company,** London, 1935.

(٣) انظر بحثنا : « قافلة الحج الشامي واهميتها في الدولة العثمانية »، مجلة دراسات تاريخية ، العدد ٦ ، تشرين الاول ، ١٩٨١.

(٤) انظر حول هذه التطورات كتابنا :

The Province of Damascus, 1723 - 1783, paperback ed. , Beirut, 1970, pp. 73ff.

(٥) انظر :

Archives du Ministère des Affaires Etrangères (AE), Paris, Correspondance Commerciale (CC), Alep, vol.25, le 25 novembre 1891.

(٦) انظر :

AE, CC, Alep, vol.27, 14 octobre 1823, 30 mars 1824; AE, CC, Damas, vol, 1, (Paris, 17 juillet 1839), vol. 2, 20 janvier 1846.

(٧) انظر :

John Bowring, **Report on the Commercial Statistics of Syria,** London, 1840, reprinted, New York, 1973, p.94.

(٨) المصدر السابق ، ص ٩٤

(٩) المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(١٠) المصدر السابق ، ص ٩٢ .

(١١) المصدر السابق ، ص ٩٣ .

(١٢) سجلات دمشق (مجلس الولاية) ، رقم ١١، ص ٢٢١ ـ ٢٢٢ ، القضية ذات التاريخ ٤ جمادى الاولى ١٢٦١/ (١١ ايار ١٨٤٥) .

(١٣) انظر : AE, CC, Damas, vol. 3, 28 mai 1850.

(١٤) انظر : AE, CC, Alep, vol. 31, 31 mai 1855.

(١٥) سجلات دمشق ، رقم ١١ ، ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ ، ١٣ شعبان ١٢٦١/ (١٧ آب ١٨٤٥) .

١٨٦٣ ما مجموعه ٢٩٧ ألف ثوب طول واحدهما ٦ر٣٠ امتار وعرضه حوالي ٧٥ سم . وبيع الواحد منها في مطلع عام ١٨٦٣ ما بين ٤و٥ فرنكات ، ثم ارتفع سعره في العام نفسه الى ٦ـ٧ فرنكات بسبب ندرة القطن . ونظرا لغلاء اسعار انتاج هذه الانوال فقد توقف اكثر من مائتي نول منها عن العمل . وكان يعمل في تصنيع هذا النسيج قسم كبير من الجالية الجزائرية بدمشق .

وكان يعمل في صناعة المشالح ذات الالوان المتعددة ٣٠٠ نول . وصنع منها ٣٥ الف مشلح في عام ١٨٦٣ ، استخدم نصفها محليا ، وصدر الباقي الى انحاء سورية ومصر .

ووجد ٣٠٠ نول تنسج كتانا ابيض ، خفيفا وممتلئا يسمى مبروم ، وله سوق رائجة في مصر . وقد صدر اليها ٣٠٠ الف قطعة منه عام ١٨٦٢ . وينسج المبروم بكامله من قبل النساء . وعانى هذا النسيج آنذاك من ندرة القطن ، وتعطل نصف انواله . وتنسج مائة نول آخر نسيجا مشابها ولكنه اكثر سمكا واكتنازا، يستخدم كملابس داخلية للقرويين ، ويشهد التقرير الفرنسي ان هذا النسيج أحسن وأكثر صلابة من الكتان القطني المستورد من أوربا ، وبخاصة انكلترا .

وينسج ٥٠ نولا الشالات التي تقلد برسومها شالات فارس ، واللحمة فيها من الحرير والسدى من القطن . وطول الشالة (٢ر٨٠) مترا وعرضها متر واحد ، وسعرها يراوح بين ١٠ ــ ١٢ فرنكا للنوع العادي و ٢٠ـ٢٢ فرنكا للنوع الممتاز الذي يدخل الحرير في سديه . ومن الشالات ما هو مصنوع بكامله من القطن لاستعمال الطبقة الفقيرة وسعر القطعة منه بين ٦ ــ ٧ فرنكات . وثلاثة ارباع الشالات يصدر الى استانبول ومصر وأزمير . وقد انتج منها ، عام ١٨٦٢ ، اكثر من ٤٠ الف شالة .

واستعمل في صناعة الكوفيات (الكوفية قماش مربع طول طرفه بين ٧٥ ــ ١٠٠ سم) (٣٠) نولا ، تخصص نصفها بانتاج الكوفية الحرير ، والنصف الآخر بصناعة الكوفية القطن . ويصدر قسم من النوع الاول ، ويستخدم الباقي منه الميسورون . اما الكوفيات القطنية فتباع الى البدو والفلاحين . وسعر الكوفية من النوع الاول يراوح بين ٢٠ و٣٠ فرنكا ، ومن النوع الثاني ٣ الى ٤ فرنكات .

ويعمل في دمشق ٦٠ نولا تنتج قماش الكريب الحريري على نوعين ، احدهما خيطه مبروم ومن الوان متعددة والاخر انعم بكثير ويصنع من الحرير الابيض أو البني . ويعرف هذا النسيج باسم بامبازار ، وابعاد قطعته (٦ر٥) أمتار طولا و (٧٥

سم) عرضا ، وتباع الواحدة بين ٢٠ و ٣٠ فرنكا . وانتاجه يصدر بمجموعه تقريبا الى الداخل ، وبخاصة الى نابلس ويافا والقدس وبغداد . ووجد ٥٠ نولا تصنع السجاد والمخدات واقمشة الديوان وغيرها ، وتستخدم الصوف والقطن .

وهناك ٥٠ صائغا يتعاطون صناعة الفضة ،وقد صنعوا ١٠٨٠ اوقه (٥٦٠ر١٣٨٤ كغ) في عام ١٨٦٢ ، اشترى الفلاحون تسعة أعشارها ، ويتعاطى ثمانية صياغ تصنيع الذهب . وقد صنعوا في عام ١٨٦٢ حوالي ٤٠ أوقة من الذهب (٢٨٠ر٥١ كغ) . ويعمل خمسة صياغ في الاحجار والمجوهرات . وتأتي الجواهر في الغالب من استانبول حيث تصنع باتقان .

وتستورد الواح النحاس بكاملها من انكلترا ، وتصنع منها الصحون والطناجر والقناديل وأدوات المطبخ . ووجد في دمشق ٦٠ الى ٧٠ نحاسا و ٦ مروبصين . وقد صدروا في عام ١٨٦٢ ما قيمته ٠٠٠ر٥٠٠ قرش (٠٠٠ر١٢٥ فرنك)،الى داخل سورية بما في ذلك الى البدو . وتمتاز دمشق بتطعيم النحاس بالفضة ، ولكن أصحاب هذه الحرفة تضاءل عددهم ، ومن بقي منهم طلب اجورا عالية .

ومنذ أن بدأت اوربا بتصدير الادوات الحديدية الى سورية تضاءلت أهمية الحدادين المحليين وقل عددهم ، ولم يبق منهم في دمشق أكثر من مائة حداد ، يصنعون السكك والفؤوس والمجارف والمسامير . وأكثر الحدادين عملا أولائك الذين يصنعون نضوات (نعال) الخيل ، وبالرغم من استيراد كميات من هذه النضوات من لبنان ، فان عدد ما صدر منها الى الداخل قدر سعره بـ ٠٠٠ر٢٠٠ قرش (٠٠٠ر٥٠ فرنك)، ويؤكد القساطلي انحطاط مهنة الحدادة بقوله : « وأما الحدادون فاعمالهم متأخرة ».

وكان يعمل في مهنة السروجية في دمشق حوالي ٥٠٠ صانع ، يصنعون عدة أنواع من السروج واللجم والرسن والحياصات . وقد بلغت هذه الصناعة جدا كبيرا من الاتقان ، وتشكل منتجاتها قسما كبيرا من صادرات دمشق . وكانت قيمة ما صدر منها في عام١٨٦٢ تزيد على ٠٠٠ر٨٠٠ر١ قرش (٠٠٠ر٤٥٠ فرنك) . وقدرت الكميات التي بيعت داخل ولاية سورية ، وللبدو ، بأكثر من ٠٠٠ر٢٠٠ر١ قرش .

ووجد في دمشق اكثر من الف صانع للاحذية (كندرجي) . وقسم من الجلد الذي يصنعونه ينتج فيدمشق ، وكان من نوعية ممتازة ،والباقي يستورد من انطاكية ومدن اخرى في اسيا . وازدهرت صناعة القباقيب التي تستعملها النساء داخل البيوت ، وللخروج في الجو السيء . وكان يعمل بها ٢٠٠ صانع يصدر نصف انتاجهم الى مصر، وحلب . وقدر ثمن ما صدر منها عام ١٨٦٢ بـ ٠٠ر٢٠٠٠ر١ قرش .

وفقدت صناعة السلاح الابيض التي اشتهرت بها دمشق في السابق ، الكثير من

أهميتها . فوجد معلم واحد يصنع نصال السيوف العادية ، وبعض الصناع الذين يصنعون الخناجر . وقد صنع ٢٠ر٠٠٠ خنجر عام ١٨٦٢ ، يراوح سعر الواحد منها بين ٥ ــ ٢٠ قرشا . ونظرا لمنع تصدير هذه المنتجات الى بقية انحاء سورية ، في عام ١٨٦٣ ، تضاءل عدد الصناع في هذه الحرفة . ومع ذلك تسرب ثلاثة أرباع هذه المنتجات الى خارج دمشق تهريبا .

ووجد في دمشق ٦٠ معلما لصناعة الأثاث ، يرصعون خشب الجوز والزيتون والشوح بالفضة والصدف . وباستثناء معلمين أو ثلاثة ،كان هؤلاء المعلمون على درجة كبيرة من الابداع والاصالة في صناعتهم . ويباع معظم انتاجهم محليا . ولم تتجاوز قيمة الصادرات ٢٥٠ر٠٠٠ قرش تقريبا .

وكان يوجد في دمشق معملان للزجاج يتبعان الطرق التقليدية ، وينتجان الزجاجات (القناني) والمصابيح والكؤوس . ولم تصل هذه الصناعة الى الجودة ، وانتاجها لا يصدر الى الخارج .

ومن الصناعات الرئيسية في دمشق صناعة (الاراكيل) التي تلقى سوقا رائجة في الخارج ، وتصدر الى حلب والقدس ومصر ، وتقدر صادراتها بحوالي ١٠٠ر٠٠٠ قرش (٢٥ر٠٠٠ فرنك) وتتبعها صناعة (البرابيش) التي يُمص بواسطتها الدخان ، وكانت تزخرف بالحرير والخيوط الذهبية ، وتلون بألوان جميلة . وتتراوح قيمة (البربيش) بين ٢٥و٤٠٠ قرش (٦ ــ ١٠٠ فرنك) .

وكانت دمشق تمتاز بصناعة الفواكه المجففة ، وبخاصة المشمش ، واستخدمت هذه الصناعة ، عام ١٨٦٢ ، ١٢٢٥ كنتالا من السكر (٣١٤ر٠٩٠ كغ) . وصدرت منها ما قيمته مليون ونصف مليون قرش تقريبا ويتراوح سعر الرطل منها (٢ر٥٦٤ كغ)، بين ٢٥ و ٣٥ قرشا . وكان رطل السكر يباع ب ١٥ ــ ١٨ قرشا .

واشتهرت دمشق بصناعة ماء الورد وماء الزهر ، وكذلك العطور . وكانت تنتج حوالي ٢٠ر٠٠٠ كنتال من الصابون تصدر ثلثها . وينتهي تقرير ١٨٦٣ عن صناعات دمشق الى ان فن تزيين البيوت أخذ بالانحطاط نظرا لضآلة الثروات . ولا يوجد من الصناع من هو على مستوى القدامى في هذا الفن .

ويشير التقرير الثاني الذي كتب من دمشق في ١٩ تشرين الاول ١٨٦٩ الى أن صناعة الاسلحة البيضاء متأخرة جدا ، ولهذا تباع في دمشق النصال المستوردة من

فارس أو لييج أو صولينجن . أما صناعة الاثاث فقد فقدت الكثير من رونقها وما يصنع منها ، مثل الصناديق والطاولات الصغيرة ، فهو خشن وضخم ، ويشتريه عادة الفلاحون .

وينطبق الشيء ذاته على صناعة الزجاج التي لم تتطور . وما زالت (شيشة الاركيلة) الزجاجية تستورد من أوربا ، وبخاصة بوهيميا ، كما تستورد الشيشة النحاسية من المانيا . والحفر على النحاس متأخر بدوره . كما أن الصياغة في انهيار ، ويعزى ذلك الى هجرة الصناع المسيحيين أثر احداث ١٨٦٠ .

ولكن الاقمشة الصوفية والحريرية المصنعة في دمشق احتلت المرتبة الاولى في التصدير . ومن هذه الاقمشة الديما التي يعمل فيها نحو الفين من الصناع ينتجون ١٥٠ر٠٠٠ ثوب في السنة يصدر معظمها الى استانبول والاناضول ومصر وبغداد .

وكان طول الثوب الواحد ١٢ ذراعا (تعادل ١٦ر٨ مترا) وعرضه ٥١ سم* وكانت خيوط الديما تستورد من انكلترا وتصبغ في دمشق . والوان هذا القماش الرائجة كانت الازرق المقلم بالاحمر أو الاخضر أو الاصفر ، وكذلك الاحمر الغامق المقلم بالابيض أو الاصفر أو الازرق .

وكان يعمل في نسيج الالاجه في عام ١٨٦٩ حوالي ١٥٠٠ الى ١٦٠٠ صانع ينتجون حوالي ١٠٠ ألف ثوب سنويا ، تصدر ثلاثة أرباعها . ويسجل هذا الانتاج زيادة كبيرة على انتاج عام ١٨٦٢ الذي قدر بـ ٢٤ الف ثوب من الالاجه والقطني . وتفسر هذه الزيادة الكبيرة في الاستقرار الاجتماعي في دمشق وعود كثير من الصناع المهاجرين اليها، الذين اشتهروا بصناعة الحرير .

ونظرا لازدياد الانتاج من اقمشة الديما والالاجه والقطني ، في عام ١٨٦٩ ، فقد استهلكت هذه الصناعات ما زنته ١٢ر٨٠٠ كغ من حرير لبنان و ٣٣ر٢٨٠ كغ من حرير فارس ، وذلك بزيادة كبيرة عما استهلكته قبل أحداث عام ١٨٦٠ .

وقد عمل في انتاج الكوفيات الحريرية ١٠٠ الى ١٢٥ عاملا وكان معظمها يصدر الى الخارج . ويشكل هذا زيادة كبيرة على صناعة الكوفيات في عام ١٨٦٢ .

أما صناعة المشالح فيبدو انها تضاءلت عما كانت عليه في ١٨٦٢ ، فقد بلغ عدد

---

* وبذلك يكون طول هذا الذراع ٦٨ سنتمترا .

المشتغلين فيها في عام ١٨٦٩ حوالي ١٩٠ صانعا . واستخدم هؤلاء خيوط الصوف الانكليزية للمشالح الممتازة ، وخيوط الصوف المحلي للمشالح الادنى .

وفيما يتعلق بالعقادين ذكر تقرير عام ١٨٦٩ ان انتاجهم يستهلك بكامله محليا ، في حين ان تقرير عام ١٨٦٣ ذكر أن العقادين يقاسون من بيع سلعهم بسبب تبدل الازياء ، وان أعدادهم في تناقص ، ويحاولون ايجاد سوق بديلة في الحجاز . ويبدو أن أعدادهم قد تناقصت ، وبالتالي انتاجهم ، عام ١٨٦٩ ، الى حدود استيعاب السوق المحلية .

ومن السلع التي صنعتها دمشق واستمرت في تصديرها السروج والحبال ، وكانت في غاية الاتقان . وفي حين كانت اسعار السروج معتدلة فان أسعار الحبال كانت مرتفعة مما حال دون تصديرها الى أوربا . وكانت تصدر في الغالب الى بقية انحاء سورية ، والى بغداد .

واستمرت دمشق في تصدير منتجات المشمش الى أزمير واستانبول وموانئ سورية وآسية الصغرى . وكانت مراكب شركة (مساجيري امبريال) تحمل هذه المنتجات بين المواني السورية والتركية .

وصدرت دمشق بزر المشمش الى مرسيليا وليفورنة ، وبلغ ما صدرته اليهما منه في عام ١٨٦٩ ما يزيد على ٣٠٠ الف كغ .

وجاء في التقرير الثالث من دمشق بتاريخ ٢٤ نيسان ١٨٧٩ ان دمشق صدرت من بزر المشمش في ذلك العام ٥١٢ر٨٠٠ كغ. وهذا يدل على ازدياد مردود هذا الانتاج.

ويذكر التقرير بالنسبة لنسيج الالاجه أن حوالي ١٢٠٠ صانع يعملون في نسج الالاجه ، وينتجون سنويا ما بين ١٠٠ و ١٢٠ الف ثوب . وبالمقارنة مع تقرير سنة ١٨٦٩ ، الذي يذكر ان حوالي ١٥٠٠ — ١٦٠٠ صانع الاجه انتجوا حوالي ١٠٠ الف ثوب في السنة ، نستدل ان هذه الصناعة قد حافظت على مستوى متقارب في الانتاج بكلفة أقل من السابق ، لان عدد الصناع نقص بما يقرب من ٣٠٠ — ٤٠٠ صانع . أما الديما فقد ازداد عدد صناعهاعنالسابق ، اذ راوح في عام ١٨٧٩ بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ ، وتضاعف انتاجهم كذلك فبلغ ٣٠ الف ثوب .

بالنسبة للكوفيات ، ذكر التقرير الثالث ان حوالي مائة صانع يعملون فيها ، انتجوا في السنة ١٣ الف كوفية . ولكن ليس هناك من تفصيل عن نوعية الكوفيات

التاريخ	المشتري	البائع	كيفية تملك البائع	الحصة المباعة والسلعة	الموقع	الثمن بالقروش
غرةجمادى١ ١٢٦٤/ ٥ نيسان ١٨٤٨	الحاج حسين الانقود	الحاج محمد الريحاوي	بالشراء في ١٢٦١	جميع كدك وخلو الدكان وفيها٦ انوال الاجه	بمحلة الجورة داخل خان	٥٠٠
١٤ رجب ١٢٦٥/ ٥ حزيران ١٨٤٩	احمد افنديالاسلامبولي	عيدي افندي الكردي	بالشراء في ١٢٦١	جميع الدكان وفيه ٨ انوال الاجه	بمحلة باب مصلى بزقاقالمخللاتي	٣ر٥٠٠
غرة ربيع١ ١٢٧٣/ ٣٠ تشرين١ ١٨٥٦	الخواجهابراهيم صيدناوي	الخواجة حنا فارس	بالشراء في ١٢٧٢	١٢ قيراط من جميع كدك وخلو الدكان وفيها ٧ انوال لنسج الالاجا والكريشة وغيرها	بمحلة طالع القبة داخل خان الحمام	٥٠٠
ختام ربيع١ ١٢٧٥/ ٧تشرين٢ ١٨٥٨/	الخواجة ميخائيلالطوى والخواجة انطون الطوى	السيد حامد جلبي بالوكالة عن حرمة	بالشراء في ١٢٦٨	جميع عمارة وبناء الدكان وفيها ٥ انوال الاجه	خان عيسي القاري	٣ر٢٠٠
٦ القعدة ١٢٧٥/ ٧ حزيران ١٨٥٩	السيد درويش الروماني	الخواجة ابراهيم الزبال	بالشراء في ١٢٦٨	جميع عدة دكان الفتالة وفيها ٣ دواليب وتوابعهم	محلة الخراببخان الجاموس	٤٦٠٠
٢٧ شوال ١٢٧٧/ ٨ ايار ١٨٦١	الخواجة حنا الفتال العيساوي	الخواجة يوسف البيطار العيساوي	بالشراء في ١٢٧٠	الحصة ١٢ قيراط من جميع كدك وعدة الدكان وفيه٣دواليب لفتل الحرير	بمحلة باب توما بخانبين العمارين	٧٥٠

نلاحظ في هذه القائمة اثباتها هوية كل من البائع والشاري ، وكذلك انتقال السلع بين مختلف الطوائف . وضمت القائمة مبيعات تتعلق بغير صناعة الاقمشة ، للمقارنة بين اسعار مختلف الخدمات والبضائع في مدى عشرين عاما . وتظهر القائمة كذلك اماكن تواجد الفعاليات الاقتصادية وحجمها وتوزعها على مختلف احياء المدينة وخاناتها . ويدل هذا على عدم وجود مناطق صناعية تختص كل منها بانتاج نوع معين من السلع ، أي ان انتاج السلع كان يتم غالبا في خانات ودكاكين متفرقة في انحاء المدينة .

وبينت القائمة كيفية تملك البائع للمرفق المبيع ، وما اذا كان قد آل اليه عن طريق الارث او بالشراء . ولو ذكرت الوثائق سعر الشراء الذي دفعه المالك ، الى جانب تاريخ حجة البيع التي ذكرت في حالات كثيرة ، لامكننا معرفة نسبة سعر المبيع الوارد في القائمة الى سعر الشراء . ويلاحظ ورود اسماء بعض النساء والقاصرين بين الشارين بواسطة وكلاء عنهن ، وأوصياء عنهم ، مما يدل على توظيف أموال النساء والقاصرين في عقارات أو مصالح تجارية .

ان كثرة طرح أنوال الالاجه للبيع ، خلال السنوات العشرين التي غطتها القائمة، وبيع بعض مالكيها لها بعد سنوات قليلة من شرائها ، يبين المصاعب التي اعترضت تسويق هذا النسيج ، بالمقارنة مع غيره من المنسوجات الارخص ، كالقطني مثلا .

وقد لخص مراقب فرنسي يدعى غوستاف روبان (Gustave Robin) في تقرير له من دمشق بتاريخ ١٩ تشرين الاول ١٨٦٩(٨٢) ، الوضع التجاري والصناعي في المدينة ومقدار ما عانته الصناعة الدمشقية والشعب ، تحت تأثير الرأسمالية الاوربية بقوله: أن الصناعات التي اسهمت في السابق في غنى دمشق وشهرتها قد اندثر بعضها ، وبعضها الاخر في طريق الاندثار ، والاهالي الذين يزدادون فقرا كل يوم لا يطلبون من أوربا الا منتجاتها السيئة ، ويغلقون أسواقهم في وجه معظم المستوردات الفرنسية . وربما تجدر الاشارة هنا الى سيطرة البضائع الانكليزية وغيرها من البضائع الاوربية . وفي قائمة الواردات والصادرات التي ارفقها غوستاف روبان بنهاية تقريره، جاء ان وزن الاقمشة التي نقلت من بيروت الى دمشق في عام ١٨٦٨ بلغ ٣٥٢ر٨٢٤ اوقة (الاوقة تعادل آنذاك ١ر٢٨٢ كغ) أي ما يعادل ٤٥٢ر٣٢٠ كيلو غراما ، في حين كان وزن ما نقل من دمشق الى بيروت ١٠٩ر٣٠٥ كغ . واحتلت الاقمشة المرتبة الثالثة ، بعد الرز والسكر ، في قائمة المستوردات من بيروت الى دمشق ، وشغلت المرتبة الرابعة في قائمة الصادرات بعد الدقيق والصوف والاصبغة ، مع النظر بعين الاعتبار الى الفارق الكبير بين الكميتين .

موقف الصناعة الدمشقية من التحدي الاوربي

أدت منافسة البضائع الاوربية للبضائع المحلية الى حدوث تطورات هامة في التمويل والتصنيع وفي العلاقات التجارية المحلية . وقد قاومت بعض الصناعات المحلية أي تغيير في بنيتها ، ولم تستطع المنتجات الاوربية أن تحل محلها ، بتأثير العادات الاجتماعية المرتبطة بها . وكمثال على الصناعات المحلية التي لم تندثر صناعة فوط الحمامات التي ظلت رائجة مادام استعمال الحمامات قائما(٨٤) .

ولما كان الاقتصاد التقليدي يقوم ، في الغالب، على المبادرة الفردية في العمل ، والمشاغل والدكاكين التي تحوى الانوال أو أدوات الانتاج الاخرى في ملكية الافراد ، فقد حدث تطور جديد تحت ضغط المنافسة الاوربية تجلى في الشركة ، أو الشراكة ، في العمل . والهدف من ذلك زيادة رأس المال الموظف للتمكن من انتاج سلعة جيدة بسعر معتدل . ومثال ذلك ما رواه نعمان القساطلي الدمشقي في أواخر السبعينات من القرن التاسع عشر بقوله : « أما الآن فقد نكبت صنائع دمشق أعظم نكبة ولاسيما صنعة النسيج لسبب غلاء الحرير وكثرة انتشار البضائع الافرنجية مع عدم متانتها . وهذا مما دعا الحاذق السيد عبد المجيد الاصفر ان يقلد الالاجه بالغزل ليتمكن ابناء الوطن من استعماله ولضيق ذات يده انضم الى السيد حسن الخانجي فامده . وبعد الجهد نال مراده وراج عمله بين الخاص والعام واقتدى به بعض العملة وزادوا عمله اتقانا فاضحى نسيج الديما صناعة مهمة يتعيش بها الوف »(٨٥) .

وقد شاع هذا الاتجاه نحو (الشراكة) في العمل بغية تأمين رأسمال أكبر لمقاومة المنافسة ، المحلية والاوربية ، وتحقيق الجودة في الانتاج ، والحصول، في الوقت نفسه، على أرباح أكبر . ومن مزايا هذه الشراكة انها لم تكن مغلقة طائفيا بل ضمت اناسا من مختلف المذاهب .

وفي ميدان الشراكة المساهمة في الانتاج فقد ذكر القساطلي ان بعض اعيان دمشق اجتمعوا في عام ١٨٦٠ وأقاموا كرخانة* تدير آلاتها المياه لغزل القطن ، وانفقوا عليها مالا كثيرا . وبعد صعوبات كثيرة ، توقف خلالها الانتاج لعدم حسن الغزل ، عادت الكرخانة الى العمل . وكانت تغزل في كل يوم نحو ستين رطلا من القطن(٨٦) .

---

* التعبير مشتق من الكلمتين التركيتين الفارستي الاصل كار (kar) وتعني حرفة ، وخانة (hane) وتعني المكان . وتعنيان معا المشغل أو المعمل .

ومن الصناعات الدمشقية التي قاست من انتشار الازياء الاوربية صناعة العقادين ، وكان يعمل فيها آنذاك (حوالي عام ١٨٦٣) نحو خمسمائة صانع وخمسين معلما . والعقاد ، كما يقول القاسمي(٩١)، «من يحترف في خيطان الحرير والصوف والقطن والشرايط وغيرها » . وتسوق هذه المنتجات في المدن والارياف على حد سواء . ولكن المنتجات الاجنبية المشابهة اضحت تباع في دكاكين المعلمين من العقادين الى جانب المنتجات المحلية . وضمت المنتجات الاجنبية «الكراكر» ،و « الزنانيرالحريرية»، و « السيم المقصب » ، و « شلل الخيطان » ، واكياس حريرية مقصبة للدراهم وأمثالها(٩٢) . ونظرا لمنافسة المنتجات الاجنبية في العقادة للمنتجات المحلية ، أخذت اعداد العقادين تتضاءل وانتاجهم يخف . ولكنهم وجدوا سوقا رائجة لمنتجاتهم في الحجاز(٩٣) .

ومن الصناعات الهامة التي حققت نجاحا كبيرا في دمشق صناعة النجارين . فقد « ضارعوا الاعمال الاوربية وفاقوها اتقانا »(٩٤) كما اشتهرت صناعة الدباغين ، والسراجين ، وصناعة الفواكه المجففة .

وباجراء مقارنة بين ما أنتجته دمشق من مختلف السلع ، في مدى ست عشرة سنة ، كما ورد في ثلاثة تقارير فرنسية ، مؤرخة على التوالي في ١٨٦٣ و ١٨٦٩ و ١٨٧٩ ، تتبين لنا الصناعات التي تطورت وتلك التي انحطت في تلك الفترة . فقد جاء في التقرير الاول بتاريخ ٥ آذار ١٨٦٣(٩٥) أنه قبل احداث عام ١٨٦٠ استهلكت دمشق ٣٠٠ كنتال (حوالي ٨٠٠٠ر٨ كغ) من الحرير المستورد من جبل لبنان ، ومائة كنتال من حرير الشام والحرير المستورد من بروسه ، وجيورجيا (بلاد الكرج) وفارس . وقدر التقرير ما استهلكته صناعة دمشق من الحرير في عام ١٨٦٢ بحوالي نصف الكمية السابقة . ويفسر هذا التناقص بسببين: أولهما هجرة المسيحيين في أعقاب الاضطرابات، وكانت لهم الاسبقية في صناعة الحرير ، وثانيهما منافسة بضائع حلب ، في الاسواق الخارجية ، وبخاصة مصر ، لبضائع دمشق الحريرية التي اضعفتها الاضطرابات .

وقد انتجت دمشق ، في عام ١٨٦٢ ، ٢٤ الف ثوب من الانسجة التي تستخدم الحرير والقطن ، وهي الالاجه والقطني . وبيع منها ألف ثوب أو قطعة محليا ، وصدر الباقي الى روميلية وآسيا الصغرى ومصر وازمير وحلب ، وكان سعر قطعة الالاجه (٦٠ر٥ مترا × ٧٠سم) بين ٢٠ و ٢٥ فرنكا . وهناك نوع آخر منها أرخص ثمنا يراوح بين ٩ــ١٣ فرنكا . وبلغ مجموع الانوال التي صنعت هذه الانسجة ١٧٠٠ نول .

ووجد ٥٥٠ نولا تنتج أقمشة قطنية يلبسها الصناع والعمال ، انتجت في عام

من (٢٢٠ الى ٢٣٠) الف ثوب في السنة(٧٦) . وتظهر اعداد الانوال هذه ، وكذلك انتاجها ، عام ١٨٥٠ ، تراجعا كبيرا عما كان عليه عدد الانوال وانتاجها في اواخر الثلاثينات من القرن التاسع عشر ابان الحكم المصري . فقد قدّر عدد الانوال التي انتجت القطني والالاجه آنذاك ب ٤٠٠٠ نول ينتج كل منها في الاسبوع ما بين أربعة الى خمسة اثواب (٧٧) . أي ان انتاجها السنوي يقدر ، على هذا الاساس ، بحوالي ٨٣٢ الف الى ١٫٠٤٠ الف ثوب .

ويدل هذا التراجع في الانتاج على شدة منافسة البضائع الاوربية للبضائع الشامية في السوق المحلية . ونظرا لان الاقتصاد المحلي ، بمواده الخام والمصنعة ، أصبح يدور في فلك الاقتصاد العالمي ، فان اية تبدلات في هذا الاقتصاد الاخير من شأنها أن ترمي بظلالها على الاقتصاد المحلي . وقد حدث مثلا ، في عام ١٨٥٦ ، أن أصيب انتاج الحرير في أوربا وتركيا بكوارث طبيعية ، فتضاعف سعر الحرير في بلاد الشام ، وأفادت من ذلك صناعة الاقمشة الحريرية المحلية فزادت من أنوالها ، وبالتالي من انتاجها . وبلغ عدد الانوال في ذلك العام ٢٨٠٠ نول أنتجت حوالي ١٢٠ ألف ثوب من القطني و٢١٠ الاف ثوب من الالاجه ومن نسيج آخر مشابه ، عرف بالصوراتي . وسوّق نصف هذه الاثواب في حلب وازمير واستانبول وآسيا الصغرى ، وسوق ثمنها في بغداد ومكة ، ومثل ذلك في دمشق وصيدا (٧٨) .

الا أن صناعة الاقمشة الحريرية والقطنية في دمشق لم تلبث أن انتكست ، وخلال أربع سنوات ، من جديد . فقد ازداد سعر الحرير عالميا بمعدل ٥٠٪ ، كما زادت الحكومة العثمانيةمن الضرائب الجمركية على الاقمشة المحلية وموادها الاولية . ففي العهد المصري لم تفرض اية ضريبة على المواد الاولية الداخلة الى دمشق من القرى المجاورة ومن لبنان ، كما ان الانسجة الحريرية لم تدفع ضريبة حين تصديرها من دمشق . وبعودة الحكم العثماني فرض على الحرير عند دخوله دمشق ضريبة قدرها ١٢٪ من قيمته ، كما توجب على الاقمشة المصدرة منها ان تدفع حوالي ٥ الى ٦٪ من سعر القطعة . وعلق القنصل الفرنسي في دمشق على ذلك ، في أوائل عام ١٨٦٠ ، انه نظرا لهذه الاحوال فقد توقف عدد كبير من الانوال عن العمل (٧٩) .

وكانت الكارثة الرئيسية التي المت بصناعة النسيج في دمشق وانقصت انتاجها الى النصف تقريبا ، الاضطرابات الاجتماعية التي حدثت في عام ١٨٦٠ . فقد أحرق أو تعطل انتاج عدد كبير من الانوال ، وقدّر عدد ما بقي منها في أواخر عام ١٨٦٢ بحوالي ٣٠٠ نول (٨٠) . ثم عادت الحركة الصناعية في دمشق الى الانتعاش حين عاد

اليها عدد كبير من الحرفيين المسيحيين الذين لجأوا الى لبنان (٨١) ، في حين استوطن الباقون بيروت والقاهرة والاسكندرية واسهموا في تطوير اقتصاديات هذه المدن .

وتنعكس الازمات التي مرت بها الصناعة الدمشقية ، وبخاصة صناعة الاقمشة ، في ارتفاع ثمن الانوال وانخفاضها ، وتكرار بيعها في أوقات الكساد . وكانت أكثر الانوال طرحا في السوق انوال الالاجه نظرا لكلفة انتاجها المرتفعة وصعوبة تسويق أثوابها الفاخرة بين الاهالي الذين كانوا يزدادون فقرا بغالبيتهم العظمى . ويرتبط بالانوال مصير المشاغل التي أقيمت فيها ، وكذلك مصير الدكاكين التي سوقت انتاجها . والذلك طرحت للبيع أيضا المشاغل والدكاكين التي تنتج او تسوق الالاجه باكثر من غيرها . وعلى غرار أسعار الانوال ، تبدلت أسعار شغل هذه المشاغل والدكاكين ، أرتفاعا أو انخفاضا ، بحسب السوق . واستعملت كلمة « كدك » التركية للتعبير عن عدة الدكان ، من أنوال او خزائن أو رفوف ، وغير ذلك . واستعملت كلمة « خلو » العربية للتعبير عن المال الذي يدفع لأشغال المكان ، وهو ما زال ساريا ومتعارفا عليه حتى يومنا هذا . وحين تذكر الكلمتان معا ، كأن يقال ان فلانا اشترى كدك وخلو الدكان ، فان ذلك يعني أنه اشترى العدة وحق استعمالها في مكان تواجدها ، أي حق اشغال ذلك الدكان واستعمال العدة فيه . ويلاحظ انه يمكن بيع أجزاء من الكدك والخلو تقدر بالقيراط ، ووفي هذه الحال يكون البائع قد ورثها ، كما ان النساء كثيرا ما تملكن الكدك والخلو حينا عن طريق الوراثة ، وحينا بتوظيف المال المتجمع لديهن ، حين يكون الكدك والخلو لدكان ما ، أو مشغل ، مربحا ، أي ان السلعة التي يبيعها الاول ، او يصنعها الثاني ، رائجة . والقائمة التالية(٨٢) المبينة على سجلات محاكم دمشق الشرعية توضح لنا أسماء مالكي وبائعي الكدك والخلو ، وأماكن تواجد المشاغل والدكاكين ، وأسعار بيعها .

* * *

نماذج من عمليات بيع وشراء أدوات وأماكن الانتاج والتسويق والخدمات

التاريخ	المشتري	البائع	كيفية تملك البائع	الحصة المباعة والسلعة	الموقع	الثمن بالقروش
٢٩ ربيع١ ١٢٥٧/ ٣١ أيار ١٨٤١	شمعون الشطاح اليهودي	الشيخ عبد الله افندي الحلبي	بالشراء من المشتري	جميع دكان الصباغة (بناء وادوات)	بمحلة الخراب	٤ر٥٠٠
١٥ ذو القعدة ١٢٥٧/ ١٧ كانون اول ١٨٤١	الحاج محمد الحلبي	السيد مصطفى القصماني بالوكالة عن حرمة	بالارث	جميع كدك وخلو المخزن داخل خان الحماصنة	قرب البزورية	٦٥٠
١١ جمادى١ ١٢٥٨/ ٢٠ حزيران ١٨٤٢	المعلم جريس شريقية النصراني بالوكالة عن الحرمة تقلا	جريس اللبان	بالارث	جميع كدك الدكان بخان الكرجية فيها دواليب للفتالة	حارة النصارى	٢ر١٥٠
٨ ربيع١ ١٢٥٩/ ٨ نيسان ١٨٤٣	السيد عمر الرهونجي بالوكالة عن ابنه القاصر	خليل حشيش	بالشراء في ١٢٥٠	جميع كدك وخلو الدكان بخان الدبس وفيها ١١ نول الاجه	محلة القيمرية	٢ر٠٢٠
١٢ ربيع١ ١٢٥٩/ ١٢ نيسان ١٨٤٣	السيد حمزة شحادة	الحاج عرابي ابن السيد يوسف	بالشراء في ١٢٥٠ و ١٢٥٨	جميع الدكان داخل الخان وفيها نولان لنسج المناشف	محلة الشويكة	٣٥٠
٦ رمضان ١٢٥٩/ ٣٠ أيلول ١٨٤٣	عبد الله النديم النصراني بالوكالة عن ولده القاصر	حنا جبارة وشركاه	بالارث	جميع كدك وخلو الدكان بطالع القبة وفيها دولابان للفتالة	حارة القصبة	٢ر٠٠٠

التاريخ	المشتري	البائع	كيفية تملك البائع	الحصة المباعة والسلعة	الموقع	الثمن بالقروش
٢٨ شوال ١٢٥٩ / ٢١ تشرين‌اول ١٨٤٣	الحاج حوري الحمصي	السيد عبد الغني جبري الوكيل عن حرمة	بالارث	جميع الدكان بزقاق المليحي فيها انوال‌لنسج الحرير	محلةماذنة الشحم	١ر١٠٠
٥ محرم ١٢٦٠/ ٢٦كانون ثاني ١٨٤٤	المعلم باروخ المغربي اليهودي	الشيخ احمد المنجد	بالشراء في ١٢٥٧	جميع كدك وخلو الدكان بسوق المنجدين	لصيق بركةالسبيل	٧ر٦٠٠
٢٧ رجب ١٢٦٠ / ١٢ آب ١٨٤٤	المعلمالياس شحيرة وكيل المتولي على وقف ديـر صيدنايـا	الخواجة سركيس دبانة بالوكالة	بالارث	جميع عمارة وبناءالدكان وفيها ٤ دواليب فتالة	محلة النصارى	١ر٥٠٠
٢٨ جمادى١ ١٢٦١/ ٤ حزيران ١٨٤٥	السيد حسن جلبي بالوكالة	احمد وحسن ولـدي القصاب باشي وغيرهما	بالارث	جميع كدك وخلو دكـان اللحامـة بسـوق راس البزورية	قرب فرن‌الزين (ثماجرت ٢٧قرشابالسنة)	٩ر٥٠٠
٢١ ربيع٢ ١٢٦١/ ٢٩ نيسان ١٨٤٥	الحـاج عبد الفتاح الحمصي بالوكالة عـن زوجته	الحاج عمر الاقسماوي	من تعميره	جميع كـدك وخلو الدكان المعدة للكنافة	بمحلةسوق‌القاضي	١ر٢٠٠
١٢ شوال ١٢٦٣/ ٢٣ ايلول ١٨٤٧	الحاج محي الديـن البصروي	الحرمة فاطمة الاركزلي	بالارث	الحصة ١٤و ٤/٥ قيراط من جميع عمارة وبناء دكان شغل السيوف	محلة الحضرة ظاهر دمشق	١ر٨٢٥

في مصر بجودة أنسجتها ، ودخلتها الخيوط المتنوعة ، بغزل الخيط السمرى . والمراقبى . والعطالى (١) ؛ كما دخلتها الزخرفة الإسلامية ؛ بكلمات ، وتفريعات ، وتوريقات . وبصور . الوحوش ، والطيور ، ورسمت بأنواع الأصبغة .

تحتوي مراسلات بني عبد المؤمن تجارتهم في أنواع الأقمشة ، ولاسيما : "الخَيْش" أو "خيش" (٢) - مفردها "خَيْشَة" - الوارد من قُوص (٢) أعظم مدن الصعيد ، وهو نوع (٤) من القماش السميك - ولعله الكستور - يقاس بالطول والعرض ، وبالذراع (٥) والأشبار . فاشتهرت منه : "الخيشة (٦) السداسية" لأن مقاسها ستة أذرع، وإن كان من

---

(١) الخطط ، ٢ص ٢٥٦ س ١١ ومابعدها .

(٢) أنظر . Yûsuf Râgib : Marchands ,5,p.37.5. (XIV).
P. Louvre E 6930 (2) (Pl.XII A ; B).

(٢) الخطط، ١ص ٢٨١ - ٢٨٢ . كان يرد أيضا من أهناسيا - وهي البهنسات وأهناسيا هي الأخرى - مدينتان : أهناسيا المدينة، وأهناسيا الخضراء، أو الصغيرة .

(٤) أنظر . جروهمان ، أوراق ، ترجمة ، ٦ص ، ملاحظة (٦) . أنظر . ابن حوقل ، صورة الأرض (B.G.A.) ، ٢ ، ط Leyden ، ١٨٧٢، ص ٢٧٢ ومابعدها ،
Dozy : Suppl , I,P.4167.

(٥) لدينا ملاحظات قيمة عن مقياس الذراع، الذي يختلف من مكان لآخر . ففي عهد المماليك ، كانت الذراع في الفسطاط أطول منها في القاهرة ببضع سنتيمترات (صبح ، ٣ص ٤٤٢) . كذلك توجد من الذراع أنواع، منها : الذراع السوداء، التي أوجدها الرشيد أو المأمون، - وذراع البز ، والذراع الشرعية ، وذراع الغزل ؛ فكانت طول الذراع عادة، حوالي ٤٥ سم . أما الأشبار - مفردها شبر - منها : الشبر التام، والشبر حوالي ٢٤ سم، وهي مقياس للعرض.

(٦) أنظر . Yûsuf Râgib:Marchands,2,p.15 (Commentaire)
Ibid,2,p.18.4 (IV)(256/870)
P. Louvre E 707 I A (Pl. IV).
Ibid, 2,p.21.3 (VI)(256 (870).
P.Louvre E 6 892 (1) et 6930 (1)(Pl.v, A.B.).

الممكن أن تكون الخيشة أطول (١). ولدينا نص (٢) بردى، موثق بالشهود، خاص بشراء أبى هريرة، لإحدى عشرة خيشة من قوص، فى ربيع الأول سنة ٢٥١/أبريل ٧٦٥، مما يدل على الإقبال على هذا النوع من القماش؛ ولذلك كان يشترى فى شكاير كبيرة " عدل " جمعها "أعدال"، مربوطة ومحكمة بحبل " اصطبة " (٣).

كذلك تبين مراسلات بنى عبد المؤمن الاتجار فى الملابس، مثل: " الشَقاق " (٤) ، أو " شَقَاق " - مفردها " شَقة " - وهو الثوب (٥) من التيل، يتكون من نصفين مخيطين كل مع الآخر، و " الغُلائل " أو " الجُلالات " (٦) - مفردها " غُلالة " أو " جُلالة "، وهى ثياب للنساء والرجال على السواء، وتصنع من الكتان أو الأنسجة الحريرية الرقيقة، ولاسيما الثياب التى أطلق عليها "الشطوية " (٧) - مفردها ثوب "شطوى" - نسبة الى مدينة "شطا" (٨)، الواقعة فى الدلتا قرب دمياط، حيث اشتهرت بجوارها قرى متعددة تقوم بصناعة الملابس، منها (٩): دميرة وتونة، وديفو، وبورا، ودبيق، ولاسيما مدينة "تِنّيس" (١٠)، التى اشتهرت بصناعة الأثواب الملونة،

---

(١) مثل خيشة طولها ثمانية اذرع، فى عرض خمسه اشبار
Ibid, 2,p.14.3(III)(250/864).P.Louvre E 6980 c (Recto)(Pl.II).

(٢) Ibid,2,p.16.2.(IV)(251 /8 65).P.Louvre E 6986 c (Verso) (Pl.III)

(٣) Ibid .5, p.37.25 (XIV).P.Louvre E6930(2)(Pl.XI A et B).
عن اللفظة : Dozy: Suppl,2,p.163;I,p. 26.

(٤) أنظر . Yûsuf Râgib:Marchands,5,p.33.4 (X III).
P.Louvre E 7043 (E) et 7150 (2)(Verso)(Pl.III).

(٥) أو حتى الشقات.. أنظر . جروهمان، أوراق، ترجمة، ٦ص ٧٦-٧٧ (بردية ٣٨٩)وملاحظات ١٤ و ١٥ . وقد تعنى تاجرالبز Dozy : Suppl,1,P,773

(٦) أنظر . جروهمان، أوراق، ترجمة، ٦ص ٧٤ وملاحظة ٦٠؛
Dozy : Suppl. I,P.203 ; 2,p. 220.

(٧) أنظر . Yûsuf Râgib : Marchands,5,p.75.8 (XXX).
P.Louvre I 6938 (Recto)(Pl.XV A).

(٨) الخطط، ١ص ٣٦٤ س ٣٦ .

(٩) نفسه، ١ص ٢٨٤ ومابعدها .

(١٠) أنظر. ابن بسام، أنيس الجليس فى أخبار تنيس، تحقيق الشيال، المجمع العلمى العراقى، ١٩٦٧/١٤ .

التى احتوت على لُقط بالإبر لخيوط مختلفة من القصب الحرير والذهب العال، وذلك على يد عرفاء الرقّامين (١)، وهم المتخصصون فى صناعتها، فيدخلون الخيوط فى بعضها البعض؛ فتباع بالشبر أو القطعة، ولم تكن فى مصر كورة تشبهها فى هذه الصناعة، غير كورة الفيوم، فكان معظم أهل تنيس من الحاكة القبط. كذلك كان يصنع فى تِنّيس الصديرى القصير، بغير أكمام، البدن(٢) - جمعها أبدان أو بدنات، ومفردها البَدنة - ويكون من الكتان أو الحرير، والجلباب من قطعة واحدة، من غير وصلة مخيطة، ويصنع من الحرير الرقيق "الشرب".

وقد وصلنا من برديات بنى عبد المؤمن، مايفيد كيفية التعامل فى تجارة الأقمشة "البز"، فى كورة الفيوم، حيث يكون التعامل بالعقود الموثقة، أو ماعُبر عنه "بالصك" (٣)، أى الوثيقة، يكتبها الكاتب، ويشهد عليها الشهود العدول (٤)، وهذا الأخير منصب قضائى فى مصر.. وقد صيغت هذه العقود فى قالب واحد، غير قالب الخطابات العائلية: فتبدأ بافتتاحية، تشمل البسملة، وعبارة "ذكر حق لغلاف" (٥)، والتاريخ الهجرى - وأحيانا الشهر القبطى، الذى أعتبر

---

(١) المخزومى (ت ٥٨٥/١١٨٩) - المنتقى فى كتاب المنهاج فى علم خراج مصر، تحقيق C:Cahen - حوليات اسلامية، العدد ٨، القاهرة ١٩٨٦، ص ٣٢ - ٣٣.

(٢) الخطط، ١ص ١٧٧، ابن سيدة، المخصص، (ص ٣٥؛ انظر. جروهمان، أوراق، ترجمة، ٥ ص ١٥٤ وتعليقات؛ Dozy : Suppl , I, P. 58 - 59 .

(٣) أنظر Yusuf Râgib: Marchands,2,P.22.(VI)(256/870)(Verso) P.Louvre E 6892 (1) et 6930 (1) (Pl.V A .B).

(٤) هذا المنصب أول ماظهر في عهد القاضى مفضل بن فضالة فى ولايته القضائية الثانية عام ١٧٤ - ١٧٧/ ٧٩٠ - ٧٩٣، وعرف القائمون به: بالشهود العدول، أو المعدلين، أو العدل، أو المعدلون. فكان اختيارهم عن طريق موظف عرف باسم: صاحب مسائل، يقوم بالتحرى عنهم. أنظر. محمد محمد أمين، الشاهد العدل فى القضاء الاسلامى؛ دراسة تاريخية، مع نشر وتحقيق اسجال عدالة من عصر سلاطين المماليك، حوليات اسلامية، المجلد ١٨، ١٩٨٢، ص ٤ - ٥.

(٥) تذكر هذه العبارة فى الاتفاقيات الموثقة. أنظر Groh : Papyri ,I,p. 133 .

فى وقتهم من شهور (١) العجم - كما ينص على مكان وموعد تسليم البضاعة، الذى يكون فى كل جمعة، أو فى كل شهر.

ففى احدى "صكوك" بنى عبد المؤمن - ويعتبر نصا برديا نادرا - يوجد ذكر لتكوين "شركة متفاوضة" (٢) - بتعبير الصك نفسه - قام بتأسيسها أبو هريرة، مع تاجرين آخرين؛ أحدهما فى الفيوم، والآخر فى الفسطاط. وقد دفع كل واحد منهم نصيبه فى رأس مال الشركة المتفاوضة بالدنانير الذهب، وقدره عشرون ديناراً عينا ذهباً؛ فدفع كل من أبى هريرة وشريكه فى الفيوم خمسة دنانير ذهب، بينما دفع تاجر الفسطاط عشرة دنانير؛ وذلك لشراء بضاعة "بز"، من الفيوم.

يُضاف الى ذلك، أن أم أبى هريرة، كانت تتاجر على مايبدو لحسابها الخاص فى الجواهر الثمينة، بالإضافة الى القماش الذى تتاجر فيه الأسرة. ومما يؤكد دافع المتاجرة عندها؛ وجود خطاب (٣) منها إلى ابنها، وردت فيه عبارة: أرجو أن يتم لها بيع، وتطلب منه أن يقدم الى الفسطاط إذا تمت الصفقة. كذلك فى خطاب (٤) مطول آخر، ذكر لإرسالها كمات كبيرة من الجواهر الثمينة، منها: خرز العقيق لعقد ملون أحمر، عدده عشرة، وتسع أزواج زبرجد - وهوالياقوت - كل منها على هيئة الجوزات المدورة، ولولات عددها عشر، وحجر ثمين ملون - جزع - لعقدين - حبلين - وفصوص لخواتم عددها ثمانية، وقطعة جوهر، يبدو أنها حجر كريم خام، معدّة للتصنيع. فكانت هذه الجواهر الثمينة يصنعها رجال ونساء فى الفسطاط والفيوم، مع ذكر اسم حسن الذى صنع بعضها فى الفسطاط بفن وذوق، وربما يكون حسن من أسرة بنى عبد المؤمن.

---

(١) أنظر: Yûsuf Râgib: Marchands, 2, p.25.6 (V III).
(264 / 878).
P. Berol. 7514 (Pl. VII).

(٢) أنظر: Ibid, 2, p.5 (1).
Contrat de Sociéte entre trois Marchands (250/864).
P. Louvre E 7 024 A (Pl. 1, A).

(٤) أنظر: Ibid, 5, p.38 (x v).
P. Louvre E 6949 (1) (Pl. XIII A;B.).

(٥) أنظر: .33-31-(XIII).
ouvre E 70 43 (E) ; 7 150 (2) (Verso)(Pl. III).

كذلك اشتهرت كورة الفيوم بتجارة الأخشاب، وأعتبرت من التجارات الرابحة فيها ؛ وان كان بنو عبد المؤمن لم يشتغلوا بها ؛ فكان من يتاجر فيها اسمه : " الخشّاب" (١) . فمن أنواع الأخشاب في الفيوم : خشب السنط (٢)، الذى يُعتبر أنسب الأنواع في بناء السفن ، بسبب متانته وصلابته؛ كما يفغل في الوقود لاشتعاله بسرعة، ولذلك كانت السلطة تقوم بحراسة أشجاره (٣)، وخشب اللبخ، ويوجد في وادى مويلح بالفيوم، وفي البهنسا (٥) المجاورة للفيوم، وكان اللوحان منه إذا غمرا في الماء مدة من الزمن صارا لوحا واحدا، وخشب الجميز الذى انتشر استعماله في مصر كلها، وخشب النخيل، وهو أعظم أنواع الخشب انتشارا - فكان الخشب يباع عادة بالخشبة (٦)، التى من الممكن أن تقطع الى النصف والثلثين، وتقاس بالطول والعرض بالذراع.

وعلى العكس، لاشك في أن بنى عبد المؤمن قد اشتغلوا بالزراعة أيضا ، مثل غيرهم من سكان كورة الفيوم . ففى مراسلاتهم ذكر لوجود (٧) الأرض، والزرع (٨) ومن يزرعها لهم عرف :

---

(١) أنظر .
Yûsuf Rāġib : Trois Documents Datés du Louvre .
Ann. Islamo, 15.p. 3.5 (1).
P. Louvre 7147 C (Pl I).

(٢) أنظر . جروهمان، أوراق ، ترجمة، ٦ص ١٣٠ - ١٣١ (لوحة ١٢) (٤٠١). وهذه بردية من القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى .

(٣) الخطط ، ١ص ١١٠ س ٣٧ .

(٤) نفسه ، ١ص ٢٠٤ س ٢١ .

(٥) أنظر .
Ali Bahgat ; Les Forêts en Egypte
BI F 4 série , no I.1900,p.14 - 150.

(٦) أنظر .
Yûsuf Râgib : Trois Doc,15, P. 3.9.

(٧)
Ibid : Marchands,5,p.5.6. (11).
P.Louvre E.7043(5);7150(2)(Recto)(Pl. 11.).-
وجدت مقاييس للأرض منها : الفدان ، الذراع، القراريط، ولم تكن القصبة قد ظهرت بعد ، كما وجد أوزان للمحاصيل الزراعية، مثل : القنطار الكبير والليثى ، والمطر (March,5,p.49.8)، ولعل الأخير نصف قنطار (الخطط، ١ص ٨٤، انظر . Dozy:Suppl,2,p,600) ، والأردب (صبح ، ٣ص ٤٢٦) ، والويبة ، والأوقية .

(٨) أنظر .
Yûsuf Rāġib : Marchands,5,p.27.5 (X).
P.Louvre E 6931 (Verso) (Pl. VIB.).

والوعى الكبير بالهوية العربية، فهى تسجيل لتشوق مصر إلى مستقبلها الإسلامى والعربى ؛ مع المزاوجة بين ماكانت عليه ، والمعاصرة العربية .

* * *

ففى مراسلات بنى عبد المؤمن بالذات ، وفى غيرها من البرديات العربية ، توجد أسماء تحمل الهوية العربية للأسرة المصرية ؛ وإن كان قد بدأ يظهر فيها الذوق المصرى ببساطته وعذوبته ، ولاتزال معظم هذه الأسماء تُتداول فى الأسرة المصرية للآن . كذلك لوحظ وجود اختلاط بين الأسماء الإسلامية والأسماء القبطية ؛ لأن شعب مصر فى واقعه يتكون من مسلمين وقبط أو بقاء أسماء قبطية ، مع التحول الى الإسلام (١) ، أو وجود أسماء لها أصول فرعونية أو يونانية .

فمن أسماء الرجال : أبو هريرة ، أبو جعفر ، أبوعدى ، أبو القسم ، أبو صالح ، أبو الأصبغ ، أبو اليسر ، أبو سلامة ، أبو عبدالله ، أبو العباس ، أبو شجرة ، أبو الفضل ، إبن الريانى ، ابن مهاجر ، إبن عبسون ، إبن عياش ، إبن سفيان ، إبن قزعة ، عبد الكريم ، عبد المؤمن ، أحمد ، محمد ، سعد ، سعيد ، بكر ، عصام ، ثابت ، حبيب ، قبال ، سيد ، حسن ، ثور ، إدريس ، أيوب ، ياسين ، بلبل ، وليد ، يوسف ، يحيى ، موسى ، عمير ، عمرو ، مبارك ، سليمان ، هروت ، إبراهيم ؛ سويرس ، سرجة ، بقطر ، شنودة ، بشادة ، متوس ، بنوده ، يجنس ، بنطلس ، أليسع ، يعقوب ، اسحق ، عيسى ، ثيدرس ، بلتوس ، بطاقس ، سمويل ، سكريس ، حليصى ؛ فبعض هذه الأسماء الأخيرة قد يكون لها أصل يونانى (٢) .

ومن أسماء النساء : أم رشيدة ، أم سلمية ، أم مكينة ، أم عبيس ، رندة ، حميدية ، حمدونة ، مؤمنة ، صالحة ، زبدة ، زايدة ، وسيمة ، سهلة ، عالية ، حبيبة ، سيدة ، رقية ، عائشة ، سيفة ، ريسان ، محمدية (٣) ، وهذه التسمية الأخيرة

---

(١) مثل : اليسع بن عبد الوهاب ، ولقمان بن سليمان . مثلا ، انظر .
Groh: Papyri,I,P.110.16(48); (Pl.VII).
وقد إستمر هذا الإختلاط فى الأسماء القبطية والإسلامية الى عهد المماليك ؛ فكان الوزير المملوكى اسمه : بهاء الدين بن حنا ، أو علم الدين المعروف بأبوكم . بتفصيل مع ذكر المصادر .
ماجد ، نظم المماليك ورسومهم فى مصر ، ط ٢ ، ص ٤٧ .

(٢) أنظر .
Groh: Papyri,I,P. 67 sqq (40;43,48).
(Pl. IV; VI, VII).
Yûsuf Râgib: Marchands,2,P. 34.2 (XI). Contrat de Mariage (252/866). P. Louvre E 6909 (Pl.X).

(٣) أنظر .

تأنيث محمد ، وهو اسم نادر، عند المسلمين ولكنه وجد فى مصر؛ وان توقف تأنيث إسم محمد بعلم بعد يظهر فى البرديات العربية . ثم نذكر أسماء قبطية، منها : أنوبيس (١) (أو أنبيس) ، وهو إسم لإمرأة من أسرة بنى عبد المؤمن، ووجدة، وحنة (٢) ، وهما إسمان إنتشرا فى الصعيد بالذات، ومرقورة، وليونة (سونة) ، وقطامة (٣) ، ودجاشة ، وأدما ، ومقطلنى ، وعقارة ، ومرتسه ، وجميعها من الأسماء القبطية .

* *

ثم إن مراسلات بنى عبد المؤمن تظهر الهوية الاسلامية للأسرة المصرية أيضا ، حيث إنتشر الإسلام فى ربوع مصر كلها ، وبنيت المساجد والمصلات فى جميع أنحائها . فبنى مسجد الجامع (٤) ، أى المسجد الكبير، فى كورة الفيوم، مع أن سكانها كانوا من القبط . ومن ناحية أخرى ، تظهر هذه المراسلات عمق ايمان بنى عبد المؤمن بالإسلام، وتزخر بعبارات دينية، مثل : لاشريك له ، [illegible] على [illegible] (٥) [illegible] بين [illegible] بنر[illegible] الدين والصوم فى شهر رمضان المعظم، وعمل الخير بمعاونة الجياع المضرورين (٦) .

---

(١) أنظر. Ibid : Marchands,5,P. [illegible]
P.Louvre E 6864 C (Pl. XIV A et B).

(٢) أنظر. Ibid : Trois Documents Datés du Louvre. Ann Islam ,
X V,P.8-9 (11). P.Louvre MN 6885 (P.II.A).

(٣) أنظر. Groh: Papyri I.P.95.2.(43) (Pl.IV);
P.109.5(48) (Pl VII).

(٤) أنظر. Yûsuf Râgib: Marchands,5, P.15 (VI).
P.Louvre E 6987 D (Pl. VIII A).

(٥) أنظر. Ibid, 5,P.9.9.13 (III).
P.Louvre E 7736 (Recto [illegible]

(٦) أنظر. Ibid, 5, P.30.3 (X II).
P. Berol, 9141 (Pl.XI A et B).

والملحظ أن هذه المراسلات تذكر أيضا من لادين (١) له، من الملحدين، فى أسرة بنى عبد المؤمن، مثل الابنة أنوبيس (٢) (أنبيس)، التى احتفظت باسمها القبطى - ربما كانت أمها قبطية - وأخ لايظهر له اسم، مما جعل أبوهما (٣) يمنع عنهما النفقة، والطعام "برمة" (٤)، والملابس، ففى رأيه أن غير المؤمن لايسلّم عليه، ولايقدّم له معروف، لأن المعروف يقدّم لمن عرف (٥) الله.

ولامراء، فقد بيّنت برديات عربية أخرى نادرة، وجدت فى مصر فى القرنين الهجريين الأولين/ السابع والثامن الميلادى، مثل تلك البرديات الخاصة بالسيرة النبوية والحديث النبوى - يسمى فى مراسلات بنى عبد المؤمن الآثار عن الرسول (٦) - نتاج (٧) الفكر المصرى المتميز فى الدين

---

(١) أنظر. Ibid,5,41.19(X VI);P.55.9. (XX III).
P.Louvre E 6864 (Recto) (Pl.XIV A et B).
P.Louvre E 6927 A (Verso) (Pl. XXI).

(٢) أنظر. Ibid,5, 9.9. (III).
P.Louvre E 7736 (Recto) (Pl.IV).

(٣) أنظر. Ibid,5,P.47.15. (XVIII).
P.Louvre E 6960 A (Pl.XVI A et B).

(٤) أنظر. Ibid,5,P.41.18. (XVI).
P.Louvre E 6864 (Recto) (Pl.XIV A et B).

(٥) أنظر. Ibid,5,P.9.10 (III).
P.Louvre E 7736 (Recto) (Pl. IV).

(٦) أنظر. Ibid,5,63.II (XXVI).
P.Louvre E 7057 (Verso). (Pl.XX VI).

(٧) كان على رأس هذا الفكر الإسلامى المصرى، القاضى عبدالله بن لهيعة (٩٧-١٧٤/٧١٥ - ٧٩٠)، وهو مصرى، ظهرت له بردية طويلة، وحيدة، عرفت باسمه: صحيفة ابن لهيعة (أنظر. Raif Khoury: Abd Allâh Ibn, Lahî ʿa;juge et grand maitre de l'école égyptienne;avec édition critique de l'unique rouleau de Papyrus arabe conservé a Heidelberg. Wesbaden,1986,p.360).
، تحتوى على ٢٢) سطرا، ينقل فيها مائتى حديث نبوى، نقلها عن الصحابة والتابعين وتابعى التابعين، بمن فيهم المصريون وغيرهم. فكان الفقيه سفيان الثورى (ت ١٦١/٧٧٨)، وهو شامى، يقول عن ابن لهيعة: عنده الأصول، وعنده الفرع. نقلها خورى، من كتاب الذهبى، تذكرة، حيدر آباد، بيروت، ١٩٦٠، ١ص ٢٢٩ ومابعدها. أنظر. Khoury :

الإسلامى؛ الذى أعتبر أساسا لنتاج الفكر الإسلامى بعامة ورصيدا له، اعتمد على النقل والعقل، فى استخراج الأحكام الشرعية، على غير ماكان يوجد فى أى بلد اسلامى آخر؛ مما جعل مصر حلقة وصل بين العالم الاسلامى فى المشرق؛ وبين شمال أفريقيا والأندلس، وأصبح لمدينة الفسطاط - فسطاط / مصر - (١) مكانة خاصة فى أوساط المسلمين، الذين يأتونها من مختلف

L'importance d'Ibn Lah<ia et de son papyrus conserve à Heidelberg.= (Arabica ,22 1975,p. 6 sqq.). فكان من تلاميذه المبرزين الليث بن سعد (٩٤-١٧٥/ ٧١٣ - ٧٩١)، إمام الديار المصرية فى العلم والحديث، وكان قاضيا، نحوى اللسان، حسن الشعر، وذهب الى بلاد الحجاز والشام والعراق، واجتمع المنصور به فى بيت المقدس عام ١٤١/ ٧٥٨؛ وأصبح له هو الآخر شهرة كبيرة، وذاع صيته فى العالم الاسلامي؛ بحيث قال الشافعى عنه: الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه ضيعوه"، أى لم يدونوا فكرة - ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ط ٢، القاهرة ١٩٥٥، ص٧٣ - ٧٥، ابن قتيبه، المعارف، ص ٥٠٥-٥٠٦. كذلك كان الليث مستشارا للولاة فى مصر، وقد نصح أحدهم فى بنيان الكنائس، التى هدمت، وقد عرضت عليه الإمارة. الخطط، ٢ ص ٩٥ س ٢. بل استعان به الرشيد فى رد زوجته زبيدة؛ بعامة، انظر، عبد الحليم محمود، الليث بن سعد، القاهرة ١٩٧٧. ومن تلاميذه أيضا: عبدالله بن وهب (١٢٥ - ١٩٧/٧٤٣ - ٨١٢)، وهو أكبر راوٍ مصرى، جمع الحديث النبوى، وعُرف كتابه: " بجامع ابن وهب فى الحديث"، حيث أنه مكتوب كله على ورق البردى، فى ١٩٩ صفحة. نشره المستشرق Jean David Weill، بعنوان:

Le Djam ' d'Ibn Wahab. Le Caire , 1939 .

ثم مجئ الشافعى إلى مصر (ت ٢٠٤/ ٨١٩)، واقامته فيها، وتكوينه مدرسة فقهية كبرى؛ نسبت إليه، حيث كان من زعمائها المصريون، مثل: البويطى المصرى الفقيه، ونافست المدرسة المالكية فى مصر، فكانت الشافعية مذهب غالبية المصريين، السبكى، طبقات الشافعية، ١ ص ٢٧٦.

بعد ذلك جاء ذو النون المصرى (ت ٢٤٥/ ٨٥٩)، الذى اشتغل بعلم الحديث، وعكف على فك رموز الهيروغليفية، والحياة الروحية، ووضع الأسس الأولى للتصرف. أنظر. الشعرانى، الطبقات الكبرى، ١ ص ٧٠، ١٤٩.

(١) رئيف خورى، أهمية مصر الثقافية فى القرون الثلاثة الهجرية، استنادا على أقدم ماوصلنا من البرديات التاريخية والإدارية العربية، المحفوظة في هيدلبرج. ندوة البردى الأولى (١٩٨٠)، لمركز الدراسات البردية، بجامعة عين شمس.

أنحاء العالم الإسلامي .

* *

واذا تناولنا نشاط الأسرة المصرية من خلال البردى العربي ، فإنه كان متعددا .. فقد أظهرت مراسلات بني عبد المؤمن ، أنهم كانوا يعملون في تجارة القماش " البز " بالفيوم ، حيث اعتبرت من أهم التجارات ، ولها سوق رائجة في بلاد الإسلام ، وفي مصر بالذات ، لأنها ترتكز على الصناعة التي اشتهرت بها مصر منذ أيام الفراعنة ، وهي صناعة النسيج ، فكان العرب قبل الاسلام يستوردون منها النسيج . القباطي (١) ، نسبة للقبط ، لكسوة الكعبة الشريفة ، وهو قماش من حرير ، وان اشتهرت مصر في العصر الاسلامي بصناعة " الديباج " (٢) أيضاً ، وهو قماش حريري لامع ورقيق .. ولقد احتكرت السلطة العربية في مصر صناعة النسيج ، مثلما كانت الحال في وقت الحكم البيزنطي ، وعُرفت : بيت الطروز (٣) ، ويشرف عليها : صاحب الطراز (٤) . فكلمة " طراز " ، التي أطلقت من قبل على " البروتوكول " البيزنطي ، استقرت لتعني بالأولى صناعة الملابس (٥) ، أو المكان الذي تصنع فيه ، عن طريق الأنوال . ومع ذلك ، فكان يوجد دائما في مصر طراز خاص بالأقاليم ، أو ماسمي : بطراز الأقاليم (٦) . هذا بالاضافة الى المصانع الأهلية ، أو ماعرف : بطراز العامة ، حيث اختصت بتبيج المنسوجات وصناعة الملابس لحسابها . وقد اشتهرت دور الطراز

---

(١) صبح ، ٤ص ٢٧٩ ؛ الخطط ، ١ ص ٣٦٥ س ٦ .

(٢) يعتبر تقليدا للحرير الصيني ، وهي لفظة فارسية ، تعني لباس الروح ؛ عنه : ابن شيده ، المخصص ، ٤ص ٢٧٦ ؛ انظر .
Ency de L'IsI (art Dibaj), Iéd,tI, p.993-4;
Dozy : Suppl, I, p.421,

(٢) الثعالبي ، لطائف المعارف، تحقيق Jong ، ط - Leyde ، ١٨٦٧، ص ١٧٦ ؛ انظر .
Serjeant:Material for a History of Islamic Textiles. Ars Islamica-vol IX, 1942,p. 65.

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ، القاهرة ١٣٢٢ ، ص ٢٥٢ .

(٥) نفسه ، ص ٢١٥ - ٢٢١ ؛ انظر .
Ency de L'Isl,(art Tiràz) Iéd , t 4, p. 825 sqq.

(٦) أنظر . جروهمان ، أوراق البردى العربية ، ترجمة ، ١ ص ١٥٣ .

الاسـرة المصرية من خـلال البردى العربـى

عبد المنعـم ماجـد

أسماء مؤكدة لبنى عبد المؤمن

(القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى).

١- أحمد بن عبد المؤمن (أبو جعفر)، الشيخ .

٢- حمدونة زوجة أحمد (والدة أبى هريرة).

٣- سيدة زوجة ثانية لأحمد .

٤- أبو هريرة، جعفر بن أحمد بن عبد المؤمن، الابن الأكبر .

٥- الحسن (حسن) بن أحمد ، أخو أبى هريرة .

٦- أبوعدى ، ثابت بن أحمد ، أخو أبى هريرة .

٧- ريسان ، أخت أبى هريرة .

٨- أحمد بن محمد بن عياش، زوج ريسان .

٩- أنبيس (أنوبيس)، أخت أبى هريرة .

١٠- ابن الريانى ، شقيق والدة أبى هريرة .

١١- أبو عبدالله محمدبن خمدية، حمو أبى هريرة.

١٢- موسى وهرون ، ابنا عبسون، ولدا خال أبى هريرة.

١٣- مبارك ، عبد أبى هريرة

١٤- أخ لأبى هريرة، لايظهر له اسم فى المراسلات .

تعتمد معلوماتنا عن الأسرة المصرية من خلال البردى العربى ، بالدرجة الأولى على مايوجد من مراسلاتها العائلية ، كمراسلات بنى عبد المؤمن (١) الخاصة ، وهى أسرة مصرية الأصل (٢)، من القرن الثالث الهجرى/التاسع الميلادى ، فلا يوجد لها نظير (٣) فى وثائق البردى العربية الأخرى ، وذلك لكثرتها ، ووحدة سياقها ، وارتباط بعضها ببعض، والسنوات المتعاقبة التى كتبت فيها. فكانوا يطلقون على مراسلاتهم:كتب،

---

(١) أنظر. Yûsuf.Râgib: Marchamds d'Étoffes du Fayyoum,au III^{e} /Ix^{e} Siècle;d'après leurs Archives (A ctes et.Lettres). La Corresponda-mce Administrative Et Frirée des Banû Abd al-Mu'min. Supplément aux Annales Islamologiquas. Cahier no 5. Le Caire 1985.

منها : ٤٢ خطابا ، مكتوبة على ٣١ بردية ، ٢٩ بالقسم الإسلامى والفرعونى بمتحف اللوفر Musée du Louvre ، و ٢ بمتحف برلين Staatliche Museen (Berlin)، و١ بالمكتبة الأهلية بڤيينا . Nationalbibliotheke (Wienne) :

ومن قبل ، وأنظر . و David-Weill, Mireille Adda - Paris et Cahen : Lettres à un Marchand égyptien du III^{e} / IX siècle.
J.E.S.H.O,xvI / 1, 1973, P.3.

وتوجد لأسرة بنى عبد المؤمن نفسها : ١٢ بردية أخرى ، منها : ١٠ تتعلق باتفاقات تجارية ، وعقد زواج واحد ، ونص لوقف واحد لمنزل .

أنظر . , Yûsuf Râgib : Marchands ... Cahier no 2-Le Caire, 1982.

(٢) الأصل المصرى واضح فى مضمون خطابات بني عبد المؤمن، فهم يؤرخون فيها أحيانا بالشهر القبطى ، ويطلقون عليه شهر العجم . أنظر :

Ibid,2,P.25.8.(V111 / 264 / 878);
P. Berol 7514 (PL.V11).

(٣) وجد فى أرشيف الجنيزة ماهو مماثل عن بنى عوقل ، وهم تجار أيضاً من القرن الحادى عشر الميلادى . أنظر .

Stillman : The eleventh Century Merchant house of Ibn ʿAwkal (A. Geniza Study).J.E.S.H.O, X V1/1 , 1973,P. 15-88.

أوقراطيس (١)، فوردت عبارة: "تبعث إلىّ بقرطاس" (٢) أو "أذكرت القرطاس"، (٣)، أى الخطاب.

فبعضها موجه إلى كبير البيت - شيخها (٤) - أحمد بن عبد المؤمن، والى عائلته: كالزوجة، والابن الأكبر أبى هريرة جعفر بن أحمد، الذى تسلم خطابات من أبيه، وأمه - والبدة - وأخيه، وأخته، وأقربائه؛ ومن مجهولين، ومن حماته التى أرسلت بدورها خطابا الى ابنتها، وخطابات أرسلها أبو هريرة، لأناس معروفين، أو مجهولين له، ولجواريه، وأن أخا لأبى هريرة هو أبوعدى ثابت قد تسلم خطابا، وكذا زوجته تسلمت خطابات من أمها، كما توجد خطابات أخرى لايعرف لها راسل أو مرسل إليه، ولكن لها علاقة ببنى عبد المؤمن.

فهذه الخطابات العائلية لبنى عبد المؤمن تبيّن لنا تكوين أفراد هذه العائلة، كنموذج للأسرة المصرية، من الرجال والنساء والصبيان، والعبيد والجوارى، وتكشف لنا عن روابط أسرية متعددة، وانتماء أسرى دافئ. ومن اللافت أن النساء فى أسرة بنى عبد المؤمن، ومنهن الأم، والزوجة، والأخت، وحتى الجوارى، كن يعرفن القراءة والكتابة، اذ توجد لهن أو منهن خطابات، وإن كانت أسماؤهن بناء على تقاليد الأسرة المصرية المسلمة وقتذاك، لاتظهر فى العناوين (٥)، وانما الذى يظهر فيها: اسم الزوج، أو الابن، الذى يكتب لهن قراطيسهن، بالنيابة عنهن.

ولم يكن بنو عبد المؤمن من سكان الفسطاط - أو فسطاط مصر (٦) - حاضرة

---

(١) وردت هذه التسمية فى القران الكريم.

(٢) أنظر: -Yûsuf Râgib:Marchands,5,9.17. (111).
P.Louvre E 7736. (Recto) (Pl.1v.).

(٣) أنظر. Ibid,5,P.24.20. (1X).
P.Louvre E 7736. (Verso) (pl.v.).
فكان الذى يحمل هذه الخطابات هو المكارى الذى يركب الحمير، وليس بريد الدولة.
أنظر. Ibid,5,p.75.10. (XXX).
P.Louvre E 6938 (Recto) (Pl.xv A).

(٤) أنظر. Ibid,5,P.59.19. (XX 1v).
P.Louvre E 7081 (Pl.xx11;xx111).

(٥) أنظر. Ibid, 5,P. 90.

(٦) أنظر. Yusuf Ragib:Trois documents datés du Louvre.Ann. Islams,
15,P. 3 .5. (I); (Pl I).

مصر الأولى منذ الفتح العربى، وانما سكنوا الصعيد، فى كورة (١) الفيوم (٢) "Fayyûm" التى تظهر فى برديات بنى عبد المؤمن كمدينتين، إحداهما مدينة الفيوم القديمة (٣). ولقد أُعتبرت كورة الفيوم من أيام الفراعنة أول زيادة فى أرض مصر الزراعية، بغزو الصحراء وزرعها، وإن لم تنقطع صلة بنى عبد المؤمن بالعاصمة الفسطاط، حيث كان شيخهم (٤) أحمد بن عبد المؤمن وزوجته يقيمان فيها بين الفينة والفينة، لمدد تقصر أو تطول، لقضاء مصالح الأسرة ولأمور أخرى، وكان يزورها الابن الأكبر أبو هريرة (٥) أيضاً، وكذا بعض أقربائه كابنى خاله، كما أنه وجد فى خطابات بنى عبد المؤمن مايبيّن إقامة بعض أفراد من نساء الأسرة فى الإسكندرية (٦)، على ساحل البحر الأبيض.

ومن الملاحظ أن كورة الفيوم قد أُعتبرت من أشد كور مصر، التى قاومت الفتح العربى، حتى أن عمرو بن العاص، قائد الجيش العربى، أرسل نحوها جيشاً كبيرًا، قتل قائدها القبطى يوحنا (٧)؛ كما كان للقبط فيها لهجة خاصة، أُعتبرت إحدى لهجاتهم (٨). كذلك عرفت الفيوم [illegible] أرسينوى - Arsinoites Nomus - على أنها إحدى مراكز صناعة البردى الهامة فى مصر، حيث عثر فى كيمانها الكثيرة،

---

(١) أنظر هذا المصطلح فى برديات جروهمان. انظر.

Grohmann: Arabic Papyri in the Egyptian Library. Cairo 1934, I,
P.45.5. (54).

الكورة، هى الإقليم، وهى كلمة من أصل يونانى.

(٢) عنها بتفصيل: النابلسى، تاريخ الفيوم وبلاده، القاهرة ١٨٩٨.

(٣) أنظر. Yûsuf Râgib: Trois documents....15, P.3.8.(1).
P.Louvre 7147 (Pl.I.). (251.H.).

(٤) أنظر. Yûsuf Râgib: Marchands, 5, P.30.2.(X11).
P.Berôl ,14-1 (Recto) (Pl.x1 A et B).

(٥) أنظر: Ibid, 5, P.34.14. (X111)
P.Louvre E.7043(5);7150(2)(Verso)(Pl.111).

(٦) أنظر: Ibid,5,58-9 (xx1v).
P.Louvre E 7081 (Verso) (Pl.xx11;xx 111)
P.Louvre 7152 B (Recto) (Pl.xxx v11 A.B.).

(٧) أنظر: Chronique de Jean

أنظر: Till : Koptische [illegible]
München , 1930, P.7.

مثل (١) : كوم فارس، وكوم الخربانة، المسمى الصناعة، وبخاصة كوم الطيارة، على أوراق البردى العربية، وهى مدفونة فى جرار، أو فى (٢) بئر أرضية . وقد احتكر العرب صناعة ورق البردى فى مصر، مثلما كانت الحال فى أيام الحكم البيزنطى، واستمرت صناعته (٣) فى كورة الفيوم، بعد انتهائها من كور مصر الأخرى، حتى أن التماسيح (٤) المقدسة فى مقبرتها الكبرى فى كوم أوشيم " Karanos " ، كانت تكفن بأوراق البردى المستعمل، والمكتوب على الوجهين، وهى عادة مصرية قديمة، أو حتى استخدامه فى التسميد " السبخة "، لأن البردى نبات عضوى .

*

ومع ذلك، فلايمكن الاقتصار على مراسلات بنى عبد المؤمن وحدها، لمعرفة أحوال الأسرة المصرية من خلال البردى العربى؛ لأنه يشوبها الغموض من ناحية، وبسبب التشابك الأسرى من ناحية أخرى، ولطبيعة الوثيقة البردية ذاتها، بتآكل أجزاء منها، ووجود خروم فى مواضع كثيرة، أو بياض من غير كتابة Lacuna، وبهتان فى المواد، وفقدان للنقط، وغير ذلك . فلامناص إذن من النظر فى أنماط أخرى، ونماذج (٥) متنوعة من البردى العربى فى القطاع الفردى وغيره، وجدت فى كيمان متفرقة فى أنحاء أخرى من مصر أيضا، ولملمتها جمعاء، مع مراسلات بنى عبد المؤمن الخاصة، لمعرفة أحوال الأسرة المصرية، من خلال البردى العربى .

---

(١) أنظر . Yûsuf Râgib:Marchands,2, P. 1x.

Crum : Manuscripts brought from , Fayyum. Cf.

(٢) أنظر . Karabacek: Papyrus Erzhergoz Rainer,(Oesterreichische Monetsschrift für den Orient),x1, 1885, P. 161.

(٣) لسان العرب، بولاق ١٢٨٦ هـ ، ١ص٥١ .

(٤) أنظر .. الناصرى، كوم أوشيم وأهميتها كمصدر لوثائق البردى الأغريقى (النص العربى)، ص ٤ . (ندوة البردى الأولى فى مركز الدراسات البردية بجامعة عين شمس) .

(٥) مثل ماحققه من برديات عربية أخرى، على يد : Becker , Bell و Bilabel , Grohmann , Fisk , Dietrich, David Weill, Crum, Raĝib, Mortiz, Khoury, Karabacek , Grenfell, وغيرهم .

وتوجد هذه البرديات العربية فى مكتبات متعددة ، مثل :

فنذكر : وثائق بردية أخرى من بنى عبد المؤمن أنفسهم (١)، خاصة باتفاقياتهم التجارية وغيرها، أو شهادات متنوعة موثقة بالشهود، أو تركات إسلامية وغير إسلامية، أو خطابات خاصة بالأعمال، أو حسابات مختلفة المحتوى، أو نفقات مختلفة، أو عقود بيع، أو إيصالات، أو نصوص خاصة بالأرض، أو خطابات متصلة بالزراعة، أو خطابات تموين، أو عقود زواج، أو حفلات عرس ؛ وحتى برديات غلب عليها المظهر الإدارى المحلى والمركزى، أو البرديات الدينية، وهى نادرة وفريدة، تتناول السيرة والفقه والحديث النبوى، وتبيّن النهضة الفقهية الإسلامية فى مصر، فى العصور الاسلامية المبكرة، فى القرنين الهجريين الأولين السابع والثامن الميلاديين .

ومع ذلك، فلايغيبن عن البال ؛ أن المأخذ على المعلومات المستمدة من وثائق البردى العربى، أنها تكون عادة مبعثرات، ومفككات، وغير متناسقات، على عكس مايوجد فى الرواية التاريخية أو الخبر التاريخى ؛ إلا أن الأهمية الكبرى للوثيقة البردية العربية، تكمن فى الجوهر والمضمون الواقعى. فهى تعتبر أثراً إلا أن الحياة تدب فيها بتحقيقها ونشرها ؛ فتنطلق من عقالها، ويصبح الأثر الصامت ناطقا، مما يهيئ لنا رسم لوحة حية للأسرة المصرية، تنبض بالحياة .

ثم ان البرديات العربية ؛ قد تمايزت فى لغتها وصّغها، على مدى القرون الثلاثة الهجرية، التى ساد فيها البردى العربى فى مصر . فكانت تكتب باليونانية ، أو باليونانية والقبطية ، أو باليونانية والعربية ، أو باليونانية

, Oxford , Heidelberg , Berlin , British Museum , Le Louvre,=
, Nationalbibliothek Vienna ، ودار الكتب المصرية، وغيرها .

بعامة، انظر . Cheira : La Documentation Papyrologique,
de l'Epoque Arabe. Catalogue des Papyrus grecs ; publies
d'époque arabe concernant l'Egypte . Alexandrie, 1948.

، وانظر . جروهمان، أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية ؛ نشر نصوصها ونقلها الى اللغة الإنجليزية، وهى فى ستة أسفار، بعضها ترجم الى اللغة العربية ؛ وإن وجدت فيها برديات مختلفة بوثائق ورقية ؛ كما وجدت له أربعة أجزاء (أسفار) أخرى غير منشورة، فى الأكاديمية النمساوية، وصور بعضها لحساب مركز الدراسات البردية بجامعة عين شمس ؛ وانظر . Corpus Papyrorum ,
Raineri , Series Arabica. Vienna

---

(١) أنظر . Yûsuf Râgib: Marchands d'Étoffes .Les
Actes Des Banû 'Abd al-Mu'min . Cahier, no2.cf.

القبطية والعربية، أو بالقبطية والعربية، حيث أن اليونانية قد أُستعملت فى الإدارة فى أول الفتح العربى، ثم برزت القبطية (١)، التى شجع العرب على استخدامها، على أساس أنها لغة المصريين، قبل استعرابهم.

كذلك كانت البرديات العربية فى أول الأمر تستخدم بروتوكولاً (Protokollon) (٢)، بيزنطيا، من عدة أسطر، وفى شكل مزخرف، ومكتوب بالجبر، يشتمل على التاريخ، وختم الدولة، والصليب وقد يذكر اسم المصنع أيضا، ليعبر كل ذلك عن الصبغة الرسمية للوثيقة البردية.

ولما عُربت الدواوين فى مصر فى عهد الخلفاء الأمويين، أصبح يطلق على البروتوكول لفظة الطراز (٣)، حيث وصلتنا أول بردية عربية، من عهد أبى العباس الوليد بن عبد الملك (٤). فكانت هى وغيرها تكتب على نسق واحد فى أغلبها، وتشتمل على تركيبة عربية، مثل: "بسم الله الرحمن الرحيم، لاإله إلا الله وحده، محمد رسول الله، وعبارة: عبدالله الوليد أمير المؤمنين، أو إسم الوالى، وآيات قرآنية، والتاريخ الهجرى، كما توجد بالضرورة ترجمة قبطية للبسملة، والعقيدة الاسلامية، مع اختصار محدد فى الزخرفة.

ثم أصبح للطراز قالب وصيغة عربيين خالصين، وقواعد ثابتة "Formula" فى كتابته، غير ماجرى من قبل، أصبح بمرور الوقت بمثابة قوانين، أودساتير، أو مراسيم (٥)، تقرر فى مصطلح الكتابة الديوانية وغير الديوانية، حتى أن والى مصر أحمد بن طولون (ت. فى ذى القعدة ٢٧٠/ مايو ٨٨٤)، كان يرى أن الكاتب المصرى أكتب من العراقى، مما يبين انتشار التعريب فى مصر، بحيث

---

(١) تكتب القبطية بحروف يونانية، بعد إضافة سبعة حروف أُخذت من الديموطيقية، لتشمل النطق غير الموجود فى اليونانية، وهى فى مجموعها ٣١ حرفا، منها ٢٤ حرفا يونانيا، وسبعة حروف ديموطيقية.

(٢) من " Protos " و " Colla ". أنظر Corpus Papyrorum, Raineri 1/11 nos: 125(P.170);204(P.200);214(P.209); 265 (P.239); 270 (P.242).

(٣) أنظر. Ency de l'Işl,(art Tirâz) Iéd,t4,P. 825 sqq.

(٤) أنظر Grohmann:Arabic Papyri in the Egyptian, Library. Vol I,Cairo, 1934, P.2 sqq.

(٥) الجهشيارى، فى الكتابة وكتاب الوزراء، ص ٣٨.

(٦) البلوى، سيرة أحمد بن طولون، حققه كرد علىّ، دمشق ١٣٥٨، ص ٢١، ١٠٦.

العربية لغة الحياة والدين والثقافة للمصريين أجمعين، مسلمين وأقباط، واضطر القبط أنفسهم الى ترجمة أناجيلهم الى العربية، وفى أول أمرهم كانوا يكتبون العربية بحروف قبطية (١)، لنطقها، ونستطيع أن نقول أن التغيير الذى لحق بمصر بالفتح العربى، هو تغيير ثقافى أيضا. وأن العربية لم تعد لغة قبلة، وإنما أصبحت لغة عالمية .

ومن الملاحظ أن مراسلات بنى عبد المؤمن العائلية، قد صيغت فى قالب متشابه، وإن كان معظمها بدون تاريخ (٢)، فيما عدا ذكر بعض شهور قبطية " شهور القبط "، وهى فى معظمها غير مطولة، أقلها فى ستة أسطر، وأطولها فى سبعة وعشرين سطراً، ومكتوبة بخط الرقعة، الذى استعمله المصريون كثيرا فى الكتابة، وليس بالخط الكوفى العراقى .

تبدأ الرسائل بالبسملة، وصيغ دينية، مثل : لاشريك له، صلى الله على محمد النبى. وقبل الغرض توجد عبارة : كتابى إليك، أو وصل إلىّ كتابك، والاطمئنان على الصحة [illegible] العائلية. حتى أن أماً تقول لابنها (٣) : ياسيدى، ويابنى، وياحبيبى. أما الختام : ففيها عبارة : [illegible]، أولا تبطئ عنى الجواب، أو عجل علينا بالجواب، مع السلام وطلب الرحمة أحيانا. وفى آخر الخطاب، يكتب اسم المرسل اليه كاملاً على اليمين فى الغالب، واسم المراسل على اليسار، واسم المدينة " بالفيوم " وأحيانا " بدفع بالفيوم " (٤).

*

وفى الواقع : فإن مراسلات بنى عبد المؤمن وغيرها، من أوراق البردى العربى الأخرى، يمكن تتبع الحركة الأدبية للأسرة المصرية، وتكشف عن أحوالها من واقع مجتمعى، نما تدريجيا فى عهد جديد، ظهر فى حياة مصر بالفتح العربى، يختلف عن الطابع الفرعونى والمسيحى. والذى جعل هذا التحول هاما، هو أنه حدث فى وضح التاريخ، وأننا لازلنا نعيش فيه. هذا بالاضافة إلى أن البرديات العربية قد عاشت بداية نور الحضارة الاسلامية.

---

(١) دليل مختصر عن المتحف القبطى، عام ١٩٦٢، برقم ٩٢.

(٢) وعلى العكس، ذكر التاريخ الهجرى فى اتفاقاتهم التجارية، وعقد الزواج الوحيد لهم، من ٨٦٤/٢٥٠، الى ٨٦٦/٢٥٢. أنظر . بعده

(٣) أنظر . Yûsuf Râgib: Marchands,5, P.38-7- (xv). P.Louvre E 6949 U (Recto) (Pl.x111. A et B.)

Ibid ,5, P. 67-8 (xx v11).

(٤) أنظر P.Louvre E 7076 (Verso) (Pl.xx v11 et xx v111).